المقتطف

رئيس التحرير : سامي الجريدي

November 1952 | الجزء ٤ — المجلد ١٢١ | نوفمبر ١٩٥٢

حديث المقتطف

يقدم المقتطف إلى قرائه في العالم العربي والغربي هذا العدد الممتاز ، محتوياً على الجزء الثاني من كتاب « من نافذة التاريخ » للأديب الموهوب، والشاعر المجدد والناقد الممتاز، صديقنا الدكتور أحمد زكي أبو شادي .

والمقتطف يغتبط لأن الدكتور كان ولا يزال أحد كتابه الأعلام، وقد سبق أن نشرنا له الجزء الأول من هذا الكتاب في عددنا الممتاز - يونيو ١٩٥٢ — الذي قابله جمهور العلماء والأدباء والقراء بالكثير من الرضا والاعجاب .

يحتوي هذا الجزء الذي نقدمه اليوم على خمس تمثيليات : —

أولاها « المهلبي في الأدغال » وهي درامة نثرية طويلة في أربعة مناظر تتحدث عن الرحالة الحسن بن محمد المهلبي الذي أوفده الخليفة الفاطمي العزيز بالله في رحلة إلى افريقية لجمع الحيوانات النادرة وإنشاء حديقة طبيعية للحيوان في القاهرة ، وما تخلل هذه الرحلة من حوادث ومغامرات .

والثانية « نفرتيتي والمثّال » درامة شعرية في ثلاثة مناظر تصوّر لنا جوانب من تاريخنا القديم الحافل بالمجد والحضارة ، ومن سخرية القدر أن هـذا التمثال الذي نحته تحتمس المثّال لرأس الملكة نفرتيتي زوجة الملك أخناتون وأراد كبير الكهنة آنذاك تحطيمه، يعدّ اليوم من أنفس الآثار المصرية.

وثالثتها « يوم الأبطال » تمثيليـة في ثلاثة فصول تتحدث عن حركة استقلال الولايات المتحدة الاميركية حديثاً ممتعاً قويّـا . .

والرابعة « فاتح الجاهل » درامة في أربعة فصول تحلل جانباً غير معروف من جوانب عظمة بطل التحرير الامريكي « جورج واشنطن » هو روح المغامرة التي امتاز بها ذلك القائد العظيم النفس وصفاته الفطرية الباهرة التي أهلته لزعامة أمته . .

والخامسة « الجنرال ستون » صورة حيّـة لأدق فترة تاريخية من حياة مصر الحديثة في عهد اسماعيل .

☆

واسلوب التمثيليات الخمس ومنهجها في التحليل واستيعابها لحقائق التاريخ وأدق مشاعر النفس ، كل ذلك مثل يحتذى ، مع صفاء البيان وصدق البلاغة والمواءمة بين احساس الشاعر وعقل المفكّـر . . ومما يزيد في قيمتها انها صورة بارعة للحضارة الانسانية في مختلف أطوارها ، وللفكر البشري في شتى نواحيه .

والمقتطف إذ يقدم هذا العدد الممتاز الى قرائه الكرام في ختام سنة « يوبيله الماسي » يعد بمواصلة جهاده في خدمة الأدب والثقافة والفكر ، على الرغم مما يلاقيه من عقبات ويجتاز من ازمات ، ويشكر الصديق الكريم الدكتور « احمد زكي ابو شادي » ويتمنى له اطراد التوفيق في خدمة الأدب والفكر .

☆☆

المهلبي في الادغال

دراما في أربعة مناظر

شخصيات الدرامة

العزيز بالله (الخليفة الفاطمي)
الحسن بن محمد المهلبي (الرحالة)
أم الصمد (زوجة المهلبي)
ابن زريق (تابع المهلبي)
بولو — بولو (دليل افريقي)
عبد الصمد (تابع المهلبي)
واكي صومو (حمّال افريقي)
كسامانا (زوجة الحمال)

المنظر الأول

(في قصر العزيز بالله الخليفة الفاطمي بمدينة القاهرة في يوم من سنة شتاء من ٩٨٢ ميلادية وكان حضرة الخليفة والرحالة الحسن بن محمد المهلبي وضابطان من حرس الخليفة هما ابن زريق وعبد الصمد .

العزيز بالله — كنت أود بقاؤك معنا يا ابن محمد لتشترك في الاحتفال بمرور عشر سنوات على تأسيس عاصمتنا القاهرة وجامعنا الأزهر ، ولكن ما دمت ترى أن مهمتك أعظم .

المهلبي — أستغفر الله يا مولاي !

العزيز بالله — وإني لأوافقك على ذلك .

المهلبي — عفواً يا مولاي !

العزيز بالله — وما دمت تنكر عليّ ما قلته منذ البداية لأعيان هذه البلاد عن حسبي ونسبي مقلداً المعز .

المهلبي (مذعوراً) — أنا يا مولاي ؟ ! لا سمح الله أن أكون سوى عبدك المخلص يا مولاي !

العزيز بالله (ممازحاً) — لماذا تعمل على اضاعة ثقتي بك يا ابن محمد ؟ !

المهلبي (وجلاً) – أستغفر الله يا مولاي ! ماذا جنيت ؟ أستغفر الله ! ما ذنبي يا مولاي ! أستغفر الله ! أأخون وليّ نعمتي ؟

العزيز بالله (ممازحاً) – سبق السيف العذل يا ابن محمد !

المهلبي (مذعوراً) – السيف. يا مولاي !

العزيز بالله (مطمئناً) – ومع ذلك ، سأعفو عنك هذه المرة !

المهلبي (ملهوفاً) – شكراً يا مولاي ! شكراً . . . يا ليتني أعرف خطيئتي لأستغفر الله وأستغفرك يا مولاي بقية حياتي !

العزيز بالله – نعم سأصفح عنك على شريطة أن لا تعود إليها .

المهلبي (مقاطعاً) – مولاي ! .

العزيز بالله – اسمع يا ابن محمد ولا تقاطعني بكلمة ، وإلاحقّ عليك غضبي !

المهلبي (بينه وبين نفسه) بصوت خافت – يالله ! ماذا صنعت يا ابن محمد في غفلتك ؟ !

العزيز بالله (متابعاً حديثه) – لماذا تنكر الحقيقة ؟ أنت رجل علم يا ابن محمد . . . . أنت رحالة تنشد المعرفة . منذ سنين نثرت الذهب ، ولوّحت بالسيف كما صنع المعزّ رمزاً لحسبي ونسبي ! أما الآن فأنا ألوّح بالعلم وأنثر ذهبه كما تصنع أنت تماماً . . . أما الآن فأنا أعتزّ بالأزهر وأقطابه ، وبنور العلم الذي يشعّ منه ، وبالفن الذي بثثته في مصر ، فزادها جمالاً على جمال . هذان هما حسبي ونسبي الجديدان ، ، ولولاهما لما بعثت في طلبك ، ولما أصبحت عقليتي وعقليتك في صعيد واحد ، ولما تخليت عن تقاليد أسرتي .

المهلبي (مذهولاً ، مقاطعاً) – أستغفر الله يا مولاي ! أستغفر الله ! .

العزيز بالله (متابعاً حديثه) – فلا تتحدث بعد الآن عن أنك « عبدي » المخلص ، فلست عبداً لأحد ، بل أبق وفيّاً للعلم والفكر والعقل يحترمك كل انسان ، وتستبق ثقتي فيك ومحبتي لك ما حييتَ وحييت .

المهلبي (مطمئناً) – اطال الله بقاءك يا مولاي !

العزيز بالله (متابعاًحديثه) – ليس هذا كل ما عندي فأنصت اليّ جيداً يا ابن محمد.

(تسمع جلبة في الطريق وقرع جرس مع صياح مذنب : « إني معترف بجُرمي وأتوب الى الله » مكرراً . . . ثم يتضاءل الصياح إذ يبتعد وتخف الجلبة)

أسمعتَ يا ابن محمد؟ تطلّع من النافذة وقل لي ما الخبر!

(يتجه المهلبي الى النافذة ثم يعود الى حضرة الخليفة)

المهلبي (دهشاً) — هـذا مشهد غريب يا مولاي تكاد لا تصدقه عيني، إذ لم أره قبلاً في حياتي . . . هذا راكب جملاً يدق ناقوساً ويستذنب نفسه أمر عجيب.

العزيز بالله (قريراً) — ها! ها! ها! أما أنه عجيب لم تره قبلاً، فأنت صادق في دعواك، وهو ما أحمد الله عليه يا ابن محمد! . . . لقد كنت أريد محادثتك في هـذا الموضوع بالذات، فاذا بنا نفاجأ بدق الناقوس . . . ها! ها! ها! هذا يا ابن محمد تاجر جشع استحلّ نهب الجمهور، ووفاقاً لأمرنا إزاء أمثاله أركب جملاً على النحو الذي رأيته ليفضح نفسه بنفسه، وليرثيها، وليتوب إلى الله والناس . . . . وهذه هي المرة الأولى لتطبيق أمرنا منذ عامين، فلا عجب إذا لم نسمع به قبلاً ولم تر تنفيذه وقد كنت غائباً عنا لقد كان رادعاً للجشعين يا ابن محمد. وإني لأحمد الله على أن الشعب بلغ من الحضارة والتهذيب ما جعل في حكم الواقع المألوف الملموس ما تراه من الطمأنينة الشاملة والأمن السابغ.

المهلبي — حقـًا يا مولاي، أطال الله عمرك!

العزيز بالله — في أي بلد آخر رأيت ما تراه هنا من استتباب الأمن بحيث يترك الجوهري حانوته مفتوحاً، والصيرفي وكأنه دون رقابة، فلا يضيع شيء من الجواهر ولا المـال؟!

المهلبي — لم أر ولم أسمع يا مولاي شيئاً من مثل هذه الأمانة في أي بلد زرته، بل غالباً سمعت النقيض.

العزيز بالله — بالأخلاق والتثقيف والرخاء يا ابن محمد تتحضر الأمم وتمتز، والرخاء لا يقوم إلاّ على وفرة الانتاج وتنظيمه وحسن تصريفه وعلى العدل الاجتماعي. وكل علم لا بدَّ منه — ما دام علماً سليماً — لصلاح شؤون العباد. فعلمك يا ابن محمد لا غنى عنه لنا.

المهلبي — أستغفر الله يا مولاي.

العزيز بالله — علمك بتقويم البلدان وما يتصل بذلك من حبك للرحلات في بقاع الأرض المجهولة . . . وقد علمت باعتزامك السفر إلى مجاهل السودان فأرسلت في طلبك

لأرى أية مساعدة يمكننا تقديمها لك ، ولنذكر لك بعض أمنياتنا .

المهلبي — شكراً يا مولاي ! شكراً ! هذا شرف عظيم . وإني لرهين إشارتك يا مولاي !

العزيز بالله — أما مساعدتنا فتشمل جميع نفقات الرحلة كما تشمل مؤازرتك بالرجال وباثنين من فرساني ، وقد حدثت في ذلك ابن زريق وعبد الصمد ، ففرحا بتفكيري هذا فرحاً عظيماً ، وهما يتمنيان لو قبلتهما في صحبتك .

المهلبي — بأي تعبير أشكر مولاي المعظم ، ولئن أزهرت طينتي فمن غيثه وشمسه ونفحه . فبأي عبق وبأي ألوان ، وبأي رفيق للازهار تشكر الأرض الوفية الشمس السخية ، وقد نفحتها بالنور والحياة ، كما نفحتها بالطل والعطر ؟

العزيز بالله — دعنا من هذا الشعر يا ابن محمد ! إن الشكر الوحيد الذي أقبله هو العمل ، فهيىء نفسك لرحلتك قريباً ، وأجبني اجابة صريحة : أترضى عن صحبة ابن زريق وعبد الصمد لك ؟

المهلبي — ومن أنا لأختار يا مولاي ؟ إنهما لفارسان مغواران ، وصحبتهما اياي تشرفني في مهمتي وتؤازرني ، بل تبدّل ضعفي قوة !

العزيز بالله — حسناً ، والآن لننظر في مهمتك وفي أمنياتنا !

ابن زريق وعبد الصمد — شكراً ، شكراً !

ابن زريق — باذنك يا مولاي نحمد لابن محمد ثقته بنا ، ونحمد لمولانا دوام نعمته !

العزيز بالله — دعونا من الشكر ، ولننظر في الجد من الأمور . إن دولتنا الفاطمية قوامها — كما ذكرت — العلم والفن والعدل الاجتماعي ، بله الاخاء الوطني الذي يرعى جميع الطوائف بودّ شامل . وإنه ليهمني في سبيل نشر الاسلام وحضارته جنوباً أن ألمّ إلماماً كافياً بطبيعة السودان وأحواله وأهله ، وهذا ما تستطيعه يا ابن محمد وتستطيع أن تؤلف كتاباً في موضوعه .

المهلبي — بعون الله أرجو أن أحقق أمنية مولاي !

العزيز بالله — أما ما أريده منكم جميعاً فهو مؤازرتي على جلب بعض الوحوش الافريقية حية !

(ضجة دهشة من الثلاثة : « وحوش حية يا مولاي)

أجل ! وحوش حية ! لأني أريد إنشاء حديقة طبيعية للحيوانات الغريبة بعاصمتنا !

(ضجة دهشة من الثلاثة : حديقة حيوانات يا مولاي)

العزيز بالله — أجل ! أجل ، وقد فكرتُ طويلاً في أمرها وسأشرح لكم التفاصيل.

المهلبي — أخشى يا مولاي أن هذا فوق حيلتنا .

العزيز بالله — كلاّ ثمَّ كلاّ ! بل لتكن يا ابن محمد مثل سيف الدولة الذي عفّر الليث بسوطه كما حدّثنا أبو الطيب !

المهلبي (مذعوراً) — أنا يا مولاي !

العزيز بالله — نعم أنت ، وقد أوصيت فعلاً على أقفاص متينة لطائفة من الحيوانات التي أريدها حية !

المهلبي (مخاطباً نفسه في وجل بصوت خافت) — لا حول ولا قوة إلاّ بالله ! المهلبي حابس أسد في قفص ؟ ! (مخاطباً العزيز بالله — أستغفر الله يا مولاي ! إذا أنطت في هذه المهمة فلن أعود إليك ولا جثة مهشمة سامحني يا مولاي ، رضي الله عنك !

ابن زريق — ألاّ يرضى مولانا أن يعهد إليّ وإلى عبد الصمد بهذه المهمة ؟

عبد الصمد — إني طوع إشارة مولاي !

العزيز بالله — « على قدر أهل العزم تأتي العزائم » ، وقد كنت أوثر أن يشرّف ابن محمد كزعيم للقافلة بصيد أسدين مثلاً !

المهلبي — (مذهولاً ، متعجباً) أسدان يا مولاي !

العزيز بالله — وإلاّ ، فليسعدنا بأسد وفيلين !

المهلبي — (مذهولا) بأسد وفيلين ! بأسد وفيلين ! بأسد وفي . . . .

العزيز بالله — (مقاطعاً) هوّن عليك يا ابن محمد ! سأدع الصيد لهذين الفارسين المتطوعين ، وحسبك ما ستدونه من الوصف لدراساتك المنوّعة لتلك الأصقاع البكر المجهولة . ومن حيث أن هذه هي رحلتكم الأولى ، ولها ما بعدها ، فسأكتفي هذه المرة ببعض الحيوانات الغريبة ، غير متجاوز عدها العشرة ، دون أن تنسوا الجاموس البري الأسود الذي يقال إنه جدّ متوحش!

المهلبي — عندي يا مولاي جاموسة سوداء عظيمة في المزرعة لا ريب أنها تفرح بالترقي منتقلة إلى حديقة الحيوان التي تنوون تأسيسها يا مولاي ، فلا نحتاج إلى صيد جاموس بري ، وكفى الله المؤمنين القتال !

العزيز بالله — ها ! ها ! ها ! حديقة الحيوان يا ابن محمد هي حسب تصوري مدرسة !

المهلبي (دهشاً) مدرسة يا مولاي لتعليم الجاموس والوحوش ؟ !

العزيز بالله — ها ! ها ! ها لا ! لا ! يا ابن محمد بل مدرسة ليتعلم فيها الآدميون من الحيوانات ! . . . . .

المهلبي (مذهولاً ، مخاطباً نفسه بصوت خافت) — لعلي فقدت صوابي !

العزيز بالله (متابعاً حديثه) — نعم ، يجب على الناس أن يدرسوا طبائع الحيوان كما يدرسون طبائع النبات وطبائع الانسان ذاته ، فالمعرفة تنير العقل وتهذب المدارك . وستتيح لهم حديقة الحيوان هذه فرصاً للدراسة إلى جانب التسلية . وفي نيتي أن أجعلها شبيهة بالأدغال الطبيعية ، حتى تكون هذه الحيوانات قريرة مطمئنة كأنها في مواطنها الأصلية ، مع الحرص على سلامة الزائرين بوضع الأسوار العالية المتينة . ومن يدري يا ابن محمد فقد تعود إلينا مشغوفاً بهذه الكواسر على خير صلة بها ، فنعينك المدير الأول لهذه الحديقة . .

المهلبي (مذهولاً ، مخاطباً نفسه بصوت خافت) — يا حفيظ — يا رب !

العزيز بالله (متابعاً حديثه) — وقد تصبح بفضل دماثتك أليفة فتطعمها وتداعبها وتلاعبها ، ومن يدري فقد تسا كن أحدها مسروراً !

المهلبي (دهشاً) — أنا يا مولاي العاجز عن صيدها ؟ !

العزيز بالله (متابعاً حديثه) — ونفسي تحدثني يا ابن محمد بأنك ستبدل رأيك متى توغلت في السودان وصادقت الوحوش . . . .

المهلبي (مذهولاً ، مخاطباً نفسه بصوت خافت) — والعياذ بالله !

العزيز بالله — ولعلك ستنجح في ترويض الأسود ، فتعود إلينا كالفاتح المنصور راكباً أسداً !

المهلبي — (مخاطباً نفسه ، بصوت خفت) راكباً أسداً ؟ ! والله ضعت يا ابن محمد !

المنظر الثاني

(في منزل المهلبي قبيل ابحاره إلى السودان وقد جاءت زوجته أم السعد تحادثه)

المهلبي — أجل ! خصّص مولانا الخليفة مركباً فسيحاً لنا وقد زودنا بعشرة أقفاص مختلفة الأحجام من قضبان الحديد المتين — لجلب الحيوانات فيها . . . . ولست خائفاً يا أم السعد من الفيل ، ولا من الجاموس الأسود ، فأمرهما هين ، إذ من السهل عليّ مصادقة كليهما ، ولكن ماذا أصنع بالكركدن وبالنمر الأرقط بله الأسد ، وقد قطع عليّ عهداً باطعامها في المركب ، ولست أدري كيف جرى لساني فحلفت له بالطلاق وتورطت في عهد كنت أود الفرار منه ، ولست أدري .

أم السعد — كفى يا مأفون كفى ! أتحلف بالطلاق وتتعهد باطعام الوحوش وأنت هزيل يكفي للقضاء عليه ضحك الأسد أو سعال النمر ؟ ! أجننت يا ابن محمد ؟ إي والله جننت وجن الخليفة قبلك .

المهلبي — لا تسرفي يا حرمة في الملامة حينما أستأنس بارشادك !

أم السعد — إرشادي ؟ ! وهل أبقيت لي مجالاً للارشاد بعد وقوعك في الفخ يا مجنون ؟

المهلبي — أي فخ يا امرأة ، ومولانا الخليفة يعزني ويباهي بي ويحكم بعودتي راكباً أسداً كالفاتح المنصور ؟ !

أم السعد — (دهشة) راكباً ماذا ؟ !

المهلبي — راكباً أسداً يا حرمة !

أم السعد — أأنت في وعيك يا ابن محمد ؟ . . . . لقد سمعت بين صديقاتي من شكون من جنون أزواجهن لأهون من هذا ، وأحدهم يصادق كبشاً في منزله ويحاكي أصواته ، وأخيراً تمنى أن يشاطره الكبش فراشه ، ولكن زوجته هددته بالشكوى إلى مولانا الخليفة . . . فأقلع عن غيه ولم يقلع ، ولا يزال ينغصها بخزعبلاته . . . . وأما أنت ، فلا أدري ماذا أقول فيك يا ابن محمد . . . . وليس غريباً أن تأتي بأسد ليساكننا !

المهلبي — هذا ما أشار به مولانا الخليفة !

أم السعد — هذا يؤيد يقيني في جنون الرجل !

المهلبي — أردت أن أستنير برأيك في ترويض هذه الوحوش ، فلم أظفر لأ بتقريعك !

أم السعد — لا تتعب نفسك في هذا التفكير ، فلن تتاح لك الفرصة .... فالوحوش كفيلة بترويضك أنت .... ولا تخف من أنها ستأكلك ، فلا ريب أنها ستعاف لحمك المرّ .... وأما قتلك فتكفي لتحقيقه نظرة حرباءة !

المهلبي — أهذا هو التشجيع الذي كنت أنتظره منك ؟

أم السعد — وكيف ترتقب مني تشجيعك إذا كنت تؤثر هجر زوجتك ومغازلة المنية ؟ ! ألم تعدني بعد إصابتك بالحمى التي كادت تقضي عليك في رحلتك السابقة إلى قينيا بأن تبتعد عن هذه الأصقاع الموبوءة ؟

المهلبي — أتتقوّلين عليّ يا حرمة ، ولولا هذه الرحلات التي تسخطين عليها لما كنا في الخير الذي تنعمين به ، بل لما أكلنا خبزاً ؟ ! ثم يجب أن تكوني مؤمنة بالله ، فأفريقية في كثير من أصقاعها ذات بهاء فريد ، وذات جو معتدل لطيف ، نظراً لارتفاعها عن سطح البحر ارتفاعاً كبيراً حتى عند خط الاستواء ، وهي قليلة الغابات والأدغال خلافاً لما يشاع عنها جهلاً ، ثم إن المرض كالموت قدر ، ولست على أي حال بملق نفسي إلى التهلكة !

أم السعد — وهل من تهلكة بعد هذه يا ابن محمد ؟

المهلبي — ثقي يا حرمتي بأني ذاهب إلى جنة الله في أرضه ؟

أم السعد — أيعود آدم إلى الجنة دون حواء ؟ إنّ أخوف ما أخافه يا رجل أحد اثنين لا ثالث لهما ، لأن سلامتك غير منتظرة — إن أخوف ما أخافه هو أن تعود إليّ مهشماً بعد طردك من جنتك المزعومة ، أو أن تستبقى بين زبانية تلك الجنة الشيطانية ، ثم يتفضل عليّ مولانا الخليفة بجاموس بري أسود بديلاً عنك .

المهلبي — إنني الله ولا تطعني في مولانا أمير المؤمنين !

أم السعد — معاذ الله أن أفعل ذلك ، وقد أصبت بداء الفيل وما إليه من الأدواء .... ولكنه غير محال على مولانا الخليفة أن يزوجني بعدك بأحد أصدقائك الأعزاء من الجاموس البري الأسود !

المهلبي — إذن سآخذك معي يا حرمة !

المنظر الثالث

(في قرية سودانية أمام كوخ واكي صومو ، وهو حمال افريقي مقطوع الذراع اليسرى ، ومعه زوج كساماذا تحدثه . والوقت قبيل الغروب بعد المنظر الاول ببضعة أشهر)

واكي صومو — هذه ضربة حظ ولا شك يا كساماذا ! .

كسامانا — وأي حظ في أن يطلبك هـذا العربي مقاً مراً مع دليله بولو — بو لتكون رئيس الحمـالين وسط الأدغال ؟ وماذا تستطيع أن تصنعه الآن ، وقد فقد إحدى ذراعيك في معركة الجاموس الأسود ؟ !

واكي صومو — سأكون مشرفاً فقط على النقل . وهذا العربي شخي ، وقد أهد إلى بولو — بولو وزوجته هدايا قيـمة ، وأنتظر زيارته إيانا بين لحظة وأخرى ، حا هدايا لنا بينها عقد من المرجان لك لم أر نظيره قبلاً !

كسامانا — وما هي غاية هذا السيد الثري ؟ يظهر أنه ظريف كريم !

واكي صومو — إنه ليس ثريـاً ، ولكن بولو — بولو أخبرني أنه من أهل اله ويمثـل حاكم مصر ، ومعه حاشية من الفرسان . أما قصده فالعـلم بجميع شؤون قط والكتابة عنهما بلغته لأن هذا من عادتهم !

كسامانا — هذه عادة غريبة !

واكي صومو — والأغرب منها أنهم ينشدون اقتناص حيوانات حية ليأخذ معهم في أقفاص خاصة !

كسامانا — حسن ! هذه فرصة لنا لنتخلص من دجاجنا بسعر حسن ، ولدينا أقف جيدة : ولا أرى غرابة في ذلك ، بل هذه عادة حميدة .

واكي صومو — أي دجاج يا امرأة ؟ ! انهم ينشدون ما هو أعظم بكثير.

كسامانا (مقاطعة) — إذن تبيعهم ديوكنا الحبشية بثلاثة أضعاف ثمنها بل بأ ك إذ لن يجدوا أفضل منها ، ولا ريب أنها ستعتبر عجيبة في بلادهم !

واكي صومو — يا امرأة الأمر جدّ . . . . إنهم يطلبون أن أكون رئيس الحم المشرف على عملهم في نقل الوحوش الكاسرة حية سليمة في أقفاص !

كسامانا (مذعورة) — وحوش كاسرة يا واكي ؟ أأرسلت إلينا بلاد الشمال ج

من المجانين !

واكي صومو – أنا يا كسامانا المجنون ، لأني أنا الذي قبلت عرضهم وتعاقدت معهم وقبضت مبلغاً طائلاً منهم يكفي لمعيشتنا في رغد وبحبوحة طول العمر ، والآن أجدني في حيرة لا أعرف كيف أنفذ تعاقدي وأحقق وعدي!

كساما‌نا – لن يبقى لنا هذا التعاقد عمراً !

واكي صومو – كانت لرئيسهم المسمى المهلبي طلبات كثيرة ، ولكنه اختصرها مكتفياً بالحصول على أسد وفيل وكركدن ونمر وضبع وابن آوى ونمر أرقط وعلى ثلاثة من الجاموس الأسود ! ثم انه .

كسامانا (مقاطعة) – كفى يا أبله ! فلا أنت ولا المهلبي وحاشيته ولا بولو – بولو ورجاله بمستطيعين صيد ابن آوى حي ونقله حياً إلى بلاد الشمال ، فكيف تثرثر بهذه الأسماء الرهيبة وتستحل أخذ أموال الناس ؟ !

تسمع أصوات أقدام ومتحدثين قادمين

واكي صومو – كفى يا كسامانا ! انهم قادمون !

(يحضر بولو – بولو وبصحبته المهلبي وابن زريق وعبد الصمد)

واكي صومو – أهلاً بكم !

المهلبي – تحياتنا جميعاً إليك أيتها السيدة واليك أيها الصديق !

كسامانا – أهلاً بكم !

واكي صومو – لماذا تركتهم يتأخرون الي هذه الساعة يا بولو ؟

بولو – بولو – شغلتنا شواغل عديدة يا واكي ، ثم ان هذين الفارسين فُتنا بمنظر الأصيل وبمرأى مجالس البابونات على التلول المقابلة ، وأخذ السيد المهلبي يدوّن ملاحظاته على كل ما رآه من نبات وحيوان وجماد !

المهلبي – اني وحدي المذنب يا واكي . . . ما أجمل قطركم وكل ما فيه ! لقد ازدحمت أمامي الموضوعات فلا أدري ماذا أتناول وماذا أدع ، ولو علم مولاي الخليفة لأصرّ على أن يحضر معنا نماذج من قافز الصخور أو تيتل الصخور كما تسمونه ، ومن الهرقس أو أرنب الصخر الذي لا ذنب له ، ومن فرس الشيطان وغيرها من الحيوانات

العجيبة ، لحسبنا ما كلفنا به ، واذا شقّ علينا صيد الأسد والفيل والنمر فلعلنا نرضي مولانا الخليفة بصيد الجاموس الأسود الوديع !

كساما نا — الجاموس الوديع يا سيدي ؟ ! .. هذا أخطر حيوان عندنا ! وأمامك إحدى ضحاياه زوجي الأبله الذي فقد ذراعه اليسرى بينما كان متعلقاً بشجرة هروباً من الجاموس الأسود الذي كان يداعبه بنطح ذراعه المتدلية ، وبعد أن فرغ من تقطيع صديقه إرباً إرباً ، ومع ذلك يريد أن يغامر معكم بصيده حياً !

المهلبي (مذعوراً) — يا حفيظ يا رب !

واكي صومو — لقد ابتهلت إلى الأرباب ولن يضيع ابتهالي !

كساما نا — لن تنفعك الأرباب ولا الشياطين أمام الجاموس الأسود !

ابن زريق — وهذا ما كان مولانا يستهين به حتى تنازل بقبول ثلاثة منه فقط !

كساما نا — لن تظفروا ولا بذيل واحد منها ! إنه لشديد التوحش ، واسع الحيلة ، خبيث ، ماكر ، جريء ، فظ ، ليست لديه شهامة الأسد الذي قد يترك ضحيته دون الاجهاز عليه !

المهلبي (مذعوراً — يا حفيظ يارب !

عبد الصمد — أظن الأفضل استبدال الجاموس الأسود بالغوريلا ، وقد يفرح به مولانا لحديقته !

كساما نا — الغوريلا يا سيدي ؟ ! هذا شيطان من شياطيننا ! .

المهلبي (مذعوراً) مقاطعاً — أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

كساما نا (متابعة حديثها) والنمر عدو الغوريلا لا يجسر على مهاجمته ، وإنما يتحايل على سرقة أطفاله فقط ! أما زوجي فقد تمكن لسر لا أعرفه من مصادقة غوريلا عجوز !

ابن زريق — حسن جداً ! إذن يمكننا أن نأخذه معنا !

واكي صومو — كلاّ يا سيدي ! كلاّ ! انه تقمص روح جدي الأكبر !

ابن زريق — تقمص روح جدك !

كساما نا — لا تصدقه يا سيدي فان روح جده تقمصه شحرور يطنّ حولنا في أيام الصيف من كل عام !

المهلبي (دهشاً ، مخاطباً نفسه) — فقدت عقلي والله !

عبد الصمد — كيفما كانت الحقيقة نحن مستعدون لرعاية هذا الغوريلا المعتبر ور
خصه مولانا الخليفة بقصر ملكي وبمنصب في الوزارة .

بولو — بولو — لا فائدة من هـذا الكلام يا سيدي فعقائدنا الدينية عز
علينا . . . والأولى بنـا أن نحتمي داخل البيت ، فان الأسوار الشائكة غير كاف
لحمايتنا ، وقد بدأت الكواسر تجول بعد الظلام !

المهلبي (وجلاً) — الكواسر يا بولو ؟ ! . . اللهم ارحمنـا يا حارس السما
والأرض ! وكيف سنعود إذن إلى مخيمنا ؟ !

بولو — بولو — لاعودة يا سيدي الليلة ! هلمّ يا جماعة ندخل البيت قبل أن تفاج

المهلبي (وجلاً) تفاجأ ! أأصبحنا محـاصرين إذن ، وليست معنا الك
من السهام ؟

بولو — بولو — هدىء روعك يا سيدي ! هذه احتياطاتنا المـألوفة فحسب ! ه
بنا إلى الداخل !

(يدخلون البيت)

كساماتا — أتصرون بعد ذلك أيها الشجعان على اقتناص هذه الوحوش ؟

واكي صومو — هـذه طبيعة زوجتي يا سادة — الانتقاد والانتقاص دائ
ولذلك تعلقت بها وأحببتها ، ولم أجار أخي في زواج أربع صبايا أخريات ، على ا
مما يمتلكنه من رؤوس المواشي .

المهلبي — يا لله ؟ هـذا حال أم السعد تماماً ، وقد كانت على صواب . . . . يا ل
سمعت مشورتها ولم أتورط في عهد لا قبل لي به . . . ومع ذلك هربت منها !

واكي صومو — هذا يا سيدي طبع جميع الزوجات الصالحات ! ولتعلم أنه ل
القرية أي حيوان مفترس منذ شهور ، وقد فكرت في طريقة بارعة لصيد صغار ه
الحيوانات وبذلك نتحاشى الأذى ، وبرعايتكم تكبر هـذه الحيوانات في فطرتكم
تصبح أليفة .

المهلبي — بشّرك الله بالخير . . . بارك الله فيك يا واكي !

بولو — بولو — هذا يا واكي تعبير السيد المحترم بلغة دينه الخاص ، ومعناه

إلى الأرباب أن تسعدك !

المهلبي — أما وقد هدّأتم روعي فلا تدعوني أنس هذه الهدايا ، وأرجو أن تقبلها كسامانا والسيد واكي !

(تسمع صلصلة الحلى والخرز وما إليها)

كسامانا وواكي صومو — شكراً لكرمك يا سيدي !

كسامانا — ما أبدع ما انتقيت يا سيدي ، وان يكن بهاؤه من بهاء أريحيّتك !

واكي صومو — وأننا لسعيدان بإقامتك وصحبك الليلة معنا . وإني لمعترف لك تحايلنا لاستبقائكم معنا حتى نأنس بظرفكم ، أنتم أهل الشمال ، فاننا لم نر مثلكم من قبل !

المهلبي وابن زريق وعبد الصمد — شكراً ! شكراً !

واكي صومو — ولولا ذلك لما وجد موجب لاستبقائكم هذه الليلة في الحقير .

المهلبي — لا تقل هذا أيها الرجل الكريم !

واكي صومو — وبعد العشاء يا سيدي سنسمر بأحاديث الصيد ومخاطرها ونوادرها

المهلبي لا ! لا ! — دعنا من هذا ، فحسبي الأوصاف لقطركم الجميل المدهش الذي لا يكدر مطره برق ولا رعد ، خلافاً لجميع الأقطار التي زرتها .

بولو — بولو — قلما يأتي إلى القرية نمر أو أسد طلباً للماشية ، ومن العادة أن يا لينه بالرمح دون المهجوم عليه ، وإلا تعرض مهاجمه للافتراس الأكيد !

المهلبي (خائفاً) — اللهم احفظنا بجاه سيد الخلق !

واكي صومو — لا تخف يا سيدي ، فكل شيء يبشر بالمسرة ، والقرية ممتلئة بالمحاربين ، ثم ان مواشينا في أمان تام !

(تسمع جلبة المواشي في الخارج)

المهلبي — ما هذه الجلبة ؟

واكي صومو — هـذا أبو الأهـبـال ! عليّ بالرمح (هرج ومرج في الداخل) عليّ بالرمح !

(يسمع زئير الاسد)

المهلبي (مذعوراً — يخ يخ يخ بررر ! أنا في جاهك يا رسول الله ! بررر !

المنظر الرابع

(في الادغال ضحى بعد أسابيع من المنظر الاول ، وقد سارت قافلة كبيرة على رأسها الدليل كالوا — كالو ، وهي مزودة بالكثيرين من الحمالين ومعهم بغالهم وزادهم وأمتعتهم ، يتزعمهم واكي صومو ، وفي وسط القافلة المهلبي ، تابعاه ابن زريق وعبد الصمد . ويبدأ المنظر بحديث بين ابن زريق والمهلبي ثم يشترك فيه عبد الصمد .

ابن زريق — نحمد الله على سلامتك يا سيدي ، وها هي مخاوفك قد تبددت . . . وحتى تلك الليلة التي أزعجتك ومرضت اثرها ، بعد النوبة التي أصابتك مرّت فعلاً بسلام وتراجع ذلك الاسد أمام واكي صومو ، دون أن يمس ماشية واحدة !

المهلبي (مرتجفاً) — لا تذكّرني بتلك الليلة المشؤومة يا ابن زريق ! فان شعر رأسي يقف ويرجف كلما تذكرتها !

ابن زريق — نحن جميعاً فداؤك يا سيدي !

عبد الصمد — أجل ! أجل يا سيدي ! ولمـا كنت وزميلي من فرسان مولانا الخليفة ، فنحن مسؤولان قبل غيرنا عن سلامتك .

المهلبي — بارك الله فيكما !

ابن زريق — هذا صحيح يا سيدي ! ومهما يكن من شيء ، فها نحن بفضل حذق دليلنا بولو — بولو قد أوشكنا أن نظفر بضالتنا من صغار الحيوانات ، وها قد رأيت جميع الطرق التي سلكناها مأمونة . . . وبفضل يقظة مولانا الخليفة واصالة تفكيره لم نتكبد أية مشقة في إحضار الأقفاص معنا على الرغم من ضخامة بعضها ، إذ أن العجل المزودة به تجعل البغال تجرها بسهولة كما ترى يا سيدي !

عبد الصمد — إنه لتوفيق من الله ، والخطة التي رسمها الدليل لخطة بارعة موفقة إن شاء الله . . . . ومن علامات التوفيق تمكنك يا سيدي من إتمـام معظم تأليفك ،

ولا ريب أن مولانا الخليفة سيسر به أيمّا سرور !

ابن زريق — لا ريب ! لا ريب ! إن هذه الأدغال لفاتنة حقـا ، واني لأشعر كأن لها سراً تريد أن تبوح به ، ثم تتردد في إذاعته ثم تتراجع !

عبد الصمد — ما كنت لأرتضي الامتناع عن رؤيتها لو خيّرت من البداية ، مهما يكن الخطر ، فكيف ولا خطر ؟ تبارك ربي وتعالى . . . . وإني لفي حيرة والله من عناد كساماتا زوجة رئيس الحمالين واصرارها على التخلي عن هـذه الرحلة الجميلة حتى كاد يجن منها زوجها ؟

المهلبي — كأنها أم السمد ، طيّب الله أوقاتها !

ابن زريق — لقد كادت كساماتا تفسد علينا هذه الرحلة بتفلسفها مع أنها امرأة على الفطرة لا تعرف شيئاً من الحياة ولا من الدنيا !

المهلبي (متبسطاً) مثل هذا السلوك يجعلني أتساءل أحياناً : هل للنساء حس سادس لا نعرفه نحن الرجال ؟ وهل هو الحدس الصادق ، فيلمحن الحوادث أحياناً قبل وقوعها ؟

ابن زريق — لبعضهن بلا ريب حس سادس كفيل بافساد أعمال بعولتهن ، وهو يا سيدي نوع من الهوس !

المهلبي (متبسطاً) — ها ! ها ! ها ! طيّب الله أنفاسك يا ابن زريق !

ابن زريق — هذه هي ضحكة الطمأنينة الحلوة التي نحب سماعها دائماً !

عبد الصمد — دام انشراحك ورضاك ودامت عافيتك يا سيدي !

ابن زريق — انظر الى القافلة يا سيدي بطولها المديد ورجالها العديدين وعتادها الوافر ، كأنها لأمير من الأمراء ! جعلنا فداءك يا سيدي

المهلبي — هذا بفضل مولانا الخليفة !

ابن زريق — وبفضل اقدامك وثباتك ورجاحتك أيضاً يا سيدي ، لقد أريتنا الجنة عياناً يا سيدي والآن أتمنى أن لا أفارقها وأخشى أن أغضبكم إذا التمست تركي هنا في هذا النعيم !

عبد الصمد — لقد حلمت يا سيدي ليلة أمس حلماً جميلاً عن مولانا الخليفة وعنك !

المهلبي (متبسطاً) ما عندك يا عبد الصمد !

عبد الصمد — مختصره يا مولاي أنك عدت إلى مصر عود الفاتحين راكباً ثلاثة أسود لا أسداً واحداً ولا أدري كيف تحقّق ذلك ، ولكن خيّل إليّ أنك كنت تقفز من ظهر أحدها إلى ظهر الآخر ، بينما كانت الأسود تمشي في وداعة الأرانب .

المهلبي (مستاء) سامحك الله يا عبد الصمد ، لقد جعلتني بهلواناً !

عبد الصمد — أستغفر الله يا سيدي ! إني أروي الحلم على علاّته ، وان خاتمته لمفرحة جداً .

المهلبي (متبسطاً) — استمر يا عبد الصمد في روايتك !

عبد الصمد — وكانت الموسيقى يا سيدي تصدح أمام موكبك ، وخلفك جميع الوحوش التي اصطدناها ، وقد أبت أن تبقى في محابسها ، فسارت في مشية عسكرية بديعة ، وكان الجمهور دهشاً لرؤيتها على هذه الحالة ، ولكنه صفّق لها بحماسة ، حتى إذا ما بلغت صيوان جلالة الخليفة ركعت جميع هذه الحيوانات إذ رأتك تترجل .

المهلبي (مقاطعاً) — عجيب والله !

عبد الصمد (متابعاً) وليس هذا فحسب ، بل ألقى كل منها خطبة وجيزة بالعربية الفصحى كأنها في سوق عكاظ ، ولم يشذ عنها إلاّ الجاموس البرّي الأسود الذي اتهم ظلماً بالوحشية ، فانه ألقى قصيدة عصماء بزت المعلقات ، حتى قال مولانا الخليفة إنه لو تقدم به الزمن لذكره حتماً أبو الفرج في (الأغاني) لأن قصيدته كانت آية في العذوبة !

المهلبي (مقاطعاً ، مسحوراً) — سبحان المبدع !

عبد الصمد (متابعاً) — ثم نهض مولانا الخليفة وحيّاه مهنئاً ، فتقدم الجاموس نحوك يا سيدي وقبلك ، وقال وعيناه مغرورقتان بالدموع : الفضل يا مولانا الخليفة لابن محمد ، فلولا رعايته لما دخلت بلاطك ، وانه لجدير بأن يصبح أمير السودان !

المهلبي (مقاطعاً ، مسحوراً) — جميل والله ! جميل ! لافضّ فوك يا عبد الصمد ! بشرى خير إن شاء الله !

(يسمع صياح يتعالى مديداً « ها هوه ! » « ها هوه ! » « ها هوه ! »
كما تسمع جلبة تختلط فيها أصوات الناس بحركة البغال وأصواتها) .

المهلبي (مذعوراً) — ما الخبر يا قوم ؟

(أصوات . العجل الاسود يهاجمنا — اهربوا جميعاً الى رؤوس الاشجار) .

المهلبي (مذعوراً (أنقذني يا ابن زريق ! أدركني يا عبدالصمد !

ابن زريق — أنا بأعلى الشجرة يا سيدي ، أسرع قبل أن يبلغك هـذا الوحش ، أسرع ، أسرع .

المهلبي (مستغيثاً) — أدركوني يا شباب .

(أصوات . الى رؤوس الاشجار ! الى رؤوس الاشجار ! .)

بولو-بولو (صائحاً بأحد الحمالين الذين لا يزال مترجلا) — ويحك يا رجل ! انج بنفسك ، تسلق أية شجرة ، ألا ترى كيف يفتك الوحش بالبغال ؟ سيلحق بك سريعاً لا. لا. لا. لا ترمه بالسهم ، انج بنفسك ، انج بنفسك يا أبله.

ابن زريق — لقد سقط الوحش قتيلا ، لقد أصيب في قلبه ، انها لمعجزة .

عبد الصمد — يا له من بطل ! . يا له من بطل ! . أعظم بهذه الشجاعة ! لقد احتفظ برباطة جأشه كما احتفظ بسهامه ، وهربنا نحن أو عجزنا عن الهروب الكامل الى أعلى الشجر وقد فقدنا سلاحنا جميعه .

كساماتا (متهكمة ، وكانت متنكرة في ثوب حمّـال) — انزلوا الآن يا رجال ، وفروا بجلودكم قبل أن يدهمكم وحش آخر .

واكي صومو (مدهوشاً)— ويحك يا امرأة . (دهشة من الجميع : امرأة امرأة)

(مخاطباً الرجال) — هذه حرمتي صاحبتنا متنكرة في زي حمّـال .

المهلبي(في اعياء) ـ أما أنا فباق على هذه الشجرة ، بعد أن عانيت في تسلقها ولن أقدر على تسلق غيرها ولن أطيق مواجهة أم السعد .

وأما أنتم ايها الأشاوش فلم يبق الا أن ترجمكم كساماتا في هذه الأقفاص الى مولانا الخليفة !

. [النهاية]

نفرتيتى والمثال

درامة شعرية في ثلاثة مناظر

أشخاص الدرامة

الملك أخناتون	مريرا — كبير كهنة آتون
الملكة نفرتيتي	ماهو ـ رئيس الشرطة
تحتمس ـ المثال	وصيفة الملكة
سنوحي — طبيب أخناتون	حارس الملك الخاص
المشير ناخت — وزير أخناتون	

المنظر الأول

(يمثل المنظر الاول احدى قاعات القصر الملكي بمدينة اخيتاتون Akhetaton المشهورة اليوم باسم تل العمارنة عاصمة المملكة المصرية في عهد الملك أخناتون ، وقد جلست الملكة نفرتيتي أمام المثال تحتمس لينحت تمثالها . والوقت صباح يوم من أيام الربيع

نفرتيتي — (تحتمس)! ما أنا من تبدع ولكنه فنك الأبدع !
لأغبط في جلستي ما أراه فهذي الحياة وما تجمع
وما أنا الا هشيم الحياة وما الفن إلا الغنى الأرفع !

تحتمس — أنا ما صغت ربة التاج الا لمحة من بهاء هذى الألوهة
كم معان تجيش بى وأنا أعجز عنها ! يا خجلتي من قصورى !
أنا طفل أمام حسنك مولاتي ! وياربما . . . . .

نفرتيتي (مقاطعة) — . . . . . كفى يا (تحتمس) !
مثل هذا التمجيد ليس له أهل سوى ربنا المعلّى (أتون)
الذي يمنح الحياة ويضفي في الشعاع الحنون روح الفنون
أنت من نوره ، ولولاه ماصغت الذي صغت من بديع الفتون !

تحتمس — مرآك مولاتي هو المعنى المقدّس للوجود
مرآك من آياته حب الحياة بنا يزيد
خفيت معانيه وإن ظهرت تحرّرت العبيد
إلاّ ذوي الفن الأسارى للهواجس في القيود!

نفرتيتي — ما أبدع الصخر الذي سويته
وكأنما هو نابض!

تحتمس — نظرة منك نحوه تنفث الروح به واغتباط القنوع
كم صخور في حسرة تنشد الحب وتذوي في لوعة أو تجوع!

نفرتيتي — يدك الصناع هي الكفيلة وحدها بجمال ما يزري بكل جمال
ما ألطف الأذن التي سوّيتها والعين والأنف الشموخ العالي
والجبهة المتلالىء التفكير في ومضاتها كتلالؤ الآمال:

*

قل لي (تحتمس) هل يحين تناولي عما قريب ذلك التمثالا
اني لجد فخورة بصنيعه وكأنما هو كوكب يتلالا
كشفته عين الفن وهي قديرة تستأسر المتفنن المثّالا

تحتمس — مثل هذا التمثال كالشمس لا يفرغ من صنعه مدى الأزمان
كل ضوء منها يعود اليها في حياة مديدة الدوران
والذي يدعي التكفل بالتعبير عنها باج في الهذيان
والذي يدعي التمكن في عمر محدّ ، في الوهم فاني
جلّ ربي (اتون) ! ما الخلد إلاّه ، ومن وحيه نهى الفنان
أنا ما عشت ناحت أقبس النور ، ولن أنتهى بفني الأناني!
أنا ما عشت ملء فني وجودي...ووجودي بوحيك النوراني!

نفرتيتي — ها ها ها!
أنت في الحلم لا تفيق فحاذر إن بعض الأحلام فيها الهلاك!
ذا (مريرا) يراك غاليت في النحت ، وكان الأولى (أتون) العظيم
ورئيس الكهنوت ليس الذي يغفل رأي له لدى (أخنتون)

ثم هذا (ناخت) المشير يرى أيضاً تلكؤاً منك جمّا!

(يسمع وقع اقدام)

وإخال الجميع آتين للفحص وكي يقدروا الذي قد صنعت !

*

(يدخل الملك أخنتون وبصحبته كبير الكهنة مريراً والمشير ناخت ، وطالما ألحا على الملك أخنتون بوقف صنع تمثال نفرتيتي لان تحتمس المثال المتلكأ فيه طوبلاحينما الدولة تحوج الى فنه لتماثيلها الدينية الهامة . وما تلكأ تحتمس في نحته التمثال إلا لانه أحب المليكة نفرتيتي حباً جماً ، فتعلق الى غير نهاية بنحت تمثالها . وعلى أثر دخولهم يبدأ الملك اخنتون بالحديث) .

أخنتون — (نفرتيتي) ! هذه تحفة فنّان عظيم!

إن فيها قلبه حيا وايماناً ودينا !

تحتمس (مرتبكاً) — مولاي ! هذا نبل منّاح عزيز!

يا ليتني أهل لهذا العطف يا رب البلاد !

مريرا — أما انا ، فأرى ـ بوصفي الكاهن الأعلى هنا ـ

هذا التجاوز في التفنن فوق مقدور الورى

وإخاله خطراً على صدق التفرغ للديانه

لم ألق تمثالا ينافسه جلالا أو سنا !

تحتمس (مخاطباً مريراً) — سيدي ! انني الوفيّ لديني

غير أني الوفي أيضاً لفني

المشير ناخت ـ اني كذلك يا مولاي يشغلني أنّما انصرفنا عن التقديس للدين

هذا (تحتمس) أولى أن نخص به دور العبادة في نحت وتزيين

أما المليكة فالتمثال ليس لها إلا كظل ضئيل في القرابين

حسن كهذا ضنين أن يمثله فنّ وأعظم من حكم الموازين !

نفرتيتي — والآن هل لي أن أعبر عن شعوري ، لو سمحتم

يا من تغاليتم باطرائي وتقديسى أيحتم ؟ !

أخنتون — ما شئت انتِ جميعنا يرضاه !

نفرتيتي — إذن فاعلموا أني النصيرة للفن

كذلك زوجي لم يحد مرة عنى

كلانا يجلّ الفن إجلال عاشق
ويلمسه بالفكر والسّمع والعين
فلن تحرموني لذة الفن هذه
ولن تحرموا الفنّان ما يرتجي مني !

اخنتون — إن الفنون عبادتي وأجلّ قربان لربي
هيهات أجحدها ! وكيف، وكلها مرآة قلبي ؟
ملكي يدّعم من سناها لا بأسلحة وحرب

مريرا (غاضباً) — هذا ازورار يا مليك عن الشريعة، فلتحاذر !
(مخاطباً نفسه) — إن هذا التمثال شؤم وأولى أن نراه محطّماً مقبوراً !
فتنة للانام إن ظلّ فيهم !

أخنتون (محتجّاً) — يا أبي لست من يقول نكيرا
إنما الناس بالفنون يعيشون ولولا الفنون كانوا سوائم !
ديننا الحق روحه من نهاه ! إن جفا الفن ظل كالليل هائم :

*

ثم ماذا تقول يا (ناخت) ؟ مالي لا أرى منك غير صمت عجيب
يا مشيري ! هل من رجاه سوى الفن نصيراً وراعياً لا يخيب ؟

المشير ناخت (معارضاً) —
هو سحر العقول ما لم يطوّع في نظام للدين والديان
إنّ رأيي كما يقول (مريرا)، فهو أدرى بالضعف في الانسان !

أخنتون (متعجباً) — من علّم الدين قبلي نور الحياة البهيجه ؟
فالدين في فرحي العميق الجارف
والدين في قلقي الجميل الطائف
والدين نبع من أتيّ عواطفي
يضفي الأمان على الحزين الخائف

مريرا — (في حزم) إن الكهانة وحدها عين النجوم الساهرة !
نفرتيتي (ساخرة) — عجباً ! أعلم كل ما يا طالما علمته

يا طالما ايقظت من ناموا بأنفاس الخمائل
ونثرت أحلامي فكانت كلّ ما صوّرته
للناس من دين المحبة لم يدنّس بالسلاسل !

مريرا (غاضباً) — لم يبق الا أن أقول لكم بصوت (اتون) حتما
هيهات أسمح أن تقيم لغيره رمزاً ورسما
لا بدّ يطمر أو يحطّم ذلك التمثال فورا
لا تحرجوني واسمعوا وعظي !

نفرتيتي (ساخطة) . . . . . تناشد أنت نكرا !
بصوت عال مدو)

المنظر الثانى

(يمثل المنظر الثانى حديقة القصر الملكي بتل العمارنة أو مدينة أخيتاتون ، وقد خرجت الملكة إليها للتنزه ومعها وصيفتها والطبيب سنوحي ، والوقت أصيل بعد مرور شهر من المنظر الاول)

نفرتيتي (تقلب قرنفلة فريدة في يدها) —

ما هذه القرنفله ؟ لعلّها مدلّله !
قد نشرت زينتها عرائساً مكلّله
أوراقها في صبغها خواطر وأخيله
رشيقة مبلبله !

الوصيفة — هي صنف أحله البستاني موضعاً فائقاً من الايثار
أبدعتها يداه قبل الأوان في حنان وخصّها بالفخار
قال هذي قربانه لحيّا ك العزيز الجميل بين الدراري
مثلما راعنا (تحتمس) بالنحـ ت ، فهذا يروع بالأزهار !

نفرتيتي — جنّبي ذكره ، فقد صارت الذكرى عذاباً لقلبي المجروح !
خطفوه وضيعوا فنه الغالي !

الوصيفة — . . . . . . لبئس الذى أتوه جنونا
إن حزني لمثل حزنك مولاتي !

سنوحي — . . . . وحزني كذاك ليس يهون

بيد أنّ الأب المبجل ينفي أيّ شأن له بهذي الفجيعه

نفرتيتي —كيف ينفي ؟ نعم ، عجيب (سنوحي) من ترى غيره أثار الغبارا ؟

حارب الفنّ بعد ما كان حاميه ، . كأني ارتكبت إثماً وعارا

يا طبيب المليك ، قل لي : أغرّ ومريض من يجعل الفنّ دينا ؟

هل (أتون) العظيم إلاّ ضياء وبهاء يستأسر الناظرينا ؟

سنوحي — الناس مولاتي — وإن صعدوا — كبارهمو صغار

ما أندر الحيّ الذي تخذَ الجمالَ له شعارْ

وأحله عندَ الألوهةِ خافقاً لمّاعا

فهو المرادف للألوهة عزّةً وشعاعا

(يسمع أنين الشادوف)

نفرتيتي — ما ذلك الباكي الأنين ؟

الوصيفة — هذا هو الشادوف يا مولاتي

نفرتيتي — . . . . باك على الأحياء والأموات ؟

(استفهام)

الناس قد فقدوا الشجاعة حيّهم ، والميّتون إخالهم بنفاقهم

وغرورهم لم يصلحوا بممات

(تتأمل في شخص قادم من بعد)

من ذلك القادم ؟ . . . من ذا ؟

الوصيفة — هذا ؟ . هذا رئيس الشرط

سنوحى (متأملاً) — متعجلاً يدنو .

الوصيفة (مستدركة) أخطأت مولاتي ، فهذا حارس الملك ، (يقترب الحارس) ،

نفرتيتي — لعله أتى لنا بدعوة

حارس الملك — مولاتي

نفرتيتي — ماذا أتى بك يا فتى ؟

حارس الملك — مولاتي

الملكة — تكلم . . . . ما وراءك ؟ . . . قل . . . تكلم

حارس الملك — عثروا على التمثال والفنان

المنظر الثالث

(يمثل المنظر الثالث احدى المقاصير في القصر الملكي بمدينة أخيتاتون بعد المنظر الاول بقليل ، وقد حضرت نفرتيتي بناء على دعوة أخنتون . وحضر باذن الملك رئيس الشرط (ماهو) .
ويستهل المنظر بحديث بين (أخنتون) و (نفرتيتي)

أخنتون — أي (نفرتيتي) وقد دعوتك مهجتي لتشاهدي تمثالك المحبوبا

نفرتيتي — وافرحتي برجوعه
أأحضره (مرباً) بعد لأي كضن الليل بالنور الحبيس ؟

أخنتون — كلا ، فما هو ذنبه

نفرتيتي — إذن من الجاني الذي خبأه ؟

أخنتون — إنها لقصة عجيبة

نفرتيتي — وما هي ؟

أخنتون — تكلم أنت يا (ماهو)

نفرتيتي — وأين (تحتمس) ؟ أين ؟
ألم تهتدوا الى مسكنه ؟

ماهو — أصارح مولاتي بما قد رأيته فلم تر عيني مثله بحياتي
رأيتُ فتى مستلقياً فوق وجهه صريعاً كأفون بمحراب صلاةِ
وقد وضع اليمنى على رأس نحته وفي يده اليسرى . . .

نفرتيتي — . . . أ . . . . أجب من هو الفتى ؟

ماهو — رويدك مولاتي !

نفرتيتي — . . اجبني فانني أضيق بوصف لا يجيب سؤالي !
أجبني فهذا اللص قد سامني أذى وشر الأذى ماقد ينال خيالي ؟

ليالي كم قد نالني من وساوسي ومن أرق ما كان يرهق بالي
وأي أذاة قد أصابت (تحتمسا) ؟ أجبني ! أم استهوته رشوة مال ؟

ماهو — هنالك مولاتي ! وصبراً ! فانني سأبلغك الحق الصريح !

نفرتيتي — . . . . أجب إذن

ماهو (مكملاً حديثه) —... وفي يده اليسرى اعتراف بذنبه
ومن عجب قد صاغه لحن شاعر !
ولما أردنا رفعه كان ميتا . .

نفرتيتي — آه ! ما المأساة هذي ؟ من ترى ذلك السارق من لاقى جزاءه؟
أترى (تحتمس) كان مسؤولا لما قد ناله ؟
ثم ما مغزى رسالته التى طالعتموها ؟

ماهو —كانت رسالة مؤمن بالفن يعبده عباده !

نفرتيتي — عجباً !

ماهو — . . . وقد عدّ التبتل فيه غايات السعاده
فأقام حجرته هنالك هيكلا وبها اقيم صيامه وتبتّله
حتى تقدم للمنية هائماً مثل الشهيد وما تحقق مأمله

نفرتيتي — عجباً عجباً .
كل هذا يجري وقد غاب طويلا (تحتمس) . . اين غابا ؟
رغم ذاك التلكؤ الجم منه لا ارى في صنيعه الفذ عابا
فعليكم أن تبذلوا الجهد في البحث . . . .

ماهو — . . . . اری البحث في النهاية خابا

نفرتيتي (دهشة وجلة) — كيف خابا؟

ماهو — (حنونياً) . . . . لقد تأخر مسعانا !

نفرتيتي (حائرة ، متعجبة) —
على العكس قد ظفرتم بغنم بعد يأس برجعة التمثال

ماهو — (في حزن عميق) كان ذاك الميت الشهيد (تحتمس)

[النهاية]

يوم الابطال

تمثيلية في ثلاثة فصول

الفصل الأول

(يقع الفصل الاول في اجتماع بكنيسة سانت جون في رتشموند بفرجينيا وقد وقف الوطني الامريكي الخالد الذكر باترك هنري Patrick Henry يلقي خطابه الناري في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٧٧٥ داعياً الى التسليح فوراً صيانة لحقوق الشعب . ويبدأ الفصل الاول وباترك هنري يوشك ان يتم خطابه)

باترك هنري — إنه لعبث يا سيدي التماس العذر في هذه المسألة . قد يهتف السادة الجنتلمان صائحين : « السلام » . « السلام » — ولكن لا وجود للسلام . إن الحرب بدأت فعلاً ! إن العاصفة التاليـة التي تكتسح من الشمال ستجلب إلى أسماعنا صليل الأسلحة المدوية . إن اخوتنا في ميدان القتال فعلاً . ما الذي يرغب فيه السادة الجنتلمان ما الذي ينشدون . أ كذا الحيـاة غالية أو السلام حلو حتى ليشتري بثمن السلاسل والعبودية . لا سمح الله العلي القدير . إني لا أعرف أي طريق سيسلكه الآخرون ، ولكن بالنسبة الي أعطوني الحرية أو أعطوني الموت .

أحد الحـاضرين — أي نعم ، الحرية أو الموت . بل الحرية يا مستر باترك . الحرية وحدها ، فالموت لا يعرف طريق الأحرار كما لا تعرفهم العبودية .

متكلم آخر — شعاري هو شعارك فحسب يا مستر باترك — الحرية أو الموت .

هتاف من الحضور — الحرية أو الموت .

سيدة من الحاضرات (تخاطب زوجها) لمـاذا لا تهتف يا رجل . ألا تزال نائماً حتى بعد سماع صليل الأسلحة . ها هم بادئون بالانصراف ، ولكن عليك أولاً .

تستمر المظاهرات في داخل الكنيسة ثم في خارجها الى نهاية الفصل وقد أخذ الناس ينصرفون

الزوج (مقاطعاً) — إنه . لا . لا . سمعت صليل السيوف فعلاً .

الزوجة — المراوغات المنزليـة لا تنفع هنا . أقسم يا رجلي على وضعك حياتك وكل ما تملك تحت تصرف الوطن .

الزوج ـ ماذا جرى يا امرأتي . إننا لم نخلص بعد من سيطرة الرجال الأجانب استغفر الله أعني من الحكم عبر البحار، فهل تريدين أن تسيطري أنت ومن على شاكلتك علينا .

الزوجة (دهشة) من على شاكلتي . اننا نصف الأمة يا رجلي ، وعند الضرورة ـ بل وربما على أي حال سنمتشق الحسام وسنقطع أذان الصم مثلك .

الزوج (وجلاً) ـ يا حفيظ . يا حفيظ .

الزوجة ـ إن الأمر جدّ ، وفوق الجدّ . انه أعظم من حياة أمة . . انه مستقبل أبنائها وأحفادها . إنه أمر مدنيتها التي تريد أن تزدهر هنا في جو من الحرية والكرامة والاستقلال والشرف لتكون قدوة ونبراساً لجميع العالم . إنه .

الزوج ـ حاسبي حاسبي يا سيدتي لن أسمح لك باتهامنا نحن الرجال . نحن الأبطال

الزوجة ـ لم أتهم غيرك .

الزوج ـ نعم لن أسمح لك ولا باتهام خادمي حينما يجدّ الجدّ ثقي يا زوجتي العزيزة بأني سأضع رأسي على كفي . لم أكن نائماً يا نور عيني ، وإنما كنت أتشرب ذلك الحديث الناري كما يتشرب النور الشفق الساكن قبل أن ينفجر .. لتحي الحرية .

(تقرع الاجراس الى جانب الهتافات)

الفصل الثاني

(يقع هذا الفصل في الرابع من يوليه سنة ١٧٧٦ بعد اجتماع الكونجرس في فيلادلفيا لاعلان الاستقلال وامضاء وثيقته التى اعتمدها قبل ذلك بيومين . والمكان قاعة الاجتماع ذاتها) .

أحد الأعضاء — صدقني يا جورج — إني لم أضع توقيعي برباطة جأش يوماً ما كما وضعته اليوم ، وقد لاحظت أن جون هانكوك John Hancock تأنق في توقيعه غاية التأنق كأنما هو يتأنى في تهديده القدر أو كأنما يتشفى من الخصوم .

(تسمع خلال هذا الفصل أصوات الاعضاء مخاطباً بعضهم بعضاً بعد انفضاض الاجتماع)

عضو آخر — ولماذا لا تقول هذا عن نفسك يا صاحبي .

العضو الاول (مازحاً) في الحقيقة إني وضعت توقيعين .

العضو الثاني (دهشاً) — توقيعين .

العضو الأول (مازحاً) — بل ثلاثة .

العضو الثاني (دهشاً) ثلاثة . ماذا تقول يا صاحبي :

العضو الأول (مازحاً) أما التوقيع الأول فتوقيع زوجتي ها . ها . ها .

العضو الثاني (دهشاً) ما هذا الكلام أهذا مقام المزاح يا صديقي .

العضو الأول — اسمع يا جورج . إنه مقام الجدّ ولا شيء غير الجدّ . إني لم أنس تبكيت زوجتي أياي في العام الماضي بكنيسة سانت جون في رتشموند حينما خطب باترك هنري Patrick Henry خطبته النارية التي ألهبت شعور البلاد . وصدقني يا جورج اني لم أكن بحاجة إليها ، ومع ذلك أحسب أنها كانت غذاء لروحي الثائرة ، وإذ حسب بعضهم — وبينهم توجد حتى زوجتي — إن تأملي بلادة . لذلك حين وقعت كنت أمثل أيدياً ثلاثاً تمسك بالقلم — الأولى يد زوجتي ، ثم الثانية يدي وأما الثالثة فيد مدّها الى الباقي من العالم الذي شاركنا في التشوق الى الحرية وإعلان حقوق الانسان عامة في لغة افصح وأجمل مما أذيع قبلاً .

العضو الثاني — سبحان من قلبك سياسيًّا ففيلسوفاً .

العضو الأول — بل قل انساناً فحسب يا جورج ، ولا أمانع في ان تقول «متنبئاً » فان وثيقة اعلان الاستقلال ستكون نبراساً لجميع عناصر شعبنا ، ثم لشعوب العالم التي تشرئب الى المثاليات وقد دفعت بأجدادنا المهاجرين الى تكوين هذه الأمة . وما ذكرت زوجتي وما تمثلتها وأنا اضع توقيعي الا وأنا احسّ بأن المرأة ستلعب دوراً هاماً في مستقبل امتنا ثم في حرية العالم بأسره ، وما تمثلت بقية العالم ساعداً يدي الا وأنا مؤمن بأن امتنا الفتية ستكون يوماً ما قائدة المعسكرات الحرة في ارجاء المعمورة ومناراً للحضارة الجديدة .

العضو الثاني — ياليتك قلت هذا الكلام البديع في الاجتماع بدل القائه على مسمعي .

العضو الاول — سأقول ما هو افضل منه على الرغم من علو سني . سأتطوع يا جورج في جيش التحرير .

العضو الثاني — هذا بديع ، ولكنك لم تسبقني الى هذا الشرف . فقد تطوعت أنا فعلاً .

الفصل الثالث

(في المعسكر الامريكي عند الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التاسع عشر من اكتوبر سنة ١٧٨١ وقد اجتمع الجنرال وشنطن بالجنرال نوكس Knox قبيل التسليم للاميركيين . ويستهل الفصل الثالث بحديث بين وشنطن والجنرال المذكور)

وشنطن — هذا جميل منك يا هنري .

نوكس — في الحق يا جورج أنت أولى الناس بهذا الشرف ، ولكنك كعادتك أبيت في ساعة النصر أن تنسب شيئاً الى شخصك .

وشنطن — لا شرف لي ولا مجد الا بكم ، وكان من الطبيعي ان اختارك لتتسلم من العدو سيف التسليم . ولكني تذكرت صديقنا بنجامين لنكلن . فقد سبق لبنيامين أن تنازل عن سيفه للعدو في تشارلستن Charleston فمن حسن اللياقة أن أجعله اليوم بنفسه يتلقى سيف العدو عن انكساره النهائي .

نوكس — انك تشرفني مرتين بمشاركتك هذا الشعور النبيل ، واني عن طيب خاطر كما قلت لك ياجورج اتنازل له قريراً .

وشنطن — حسن . حسن . هذا هو الشعور الذي اتمنّى ان يسود امتنا في السلم ايضاً

نوكس ـ اسمح لي اذن ان أدعوه .

وشنطن ـ كلا . كلا . بل سأدعوه بنفسي .

[النهاية]

فاتح المجاهل

درامة في أربعة فصول

شخصيات الدرامة

جورج وشنطن	هافكنج (زعيم هندي)
روبرت دنودي (حاكم فرجينيا)	جوان كاريه (ضابط فرنسي)
فان برام	«الملكة» أليكويبا الهندية
كرستوفر جست	حرس — فرنسيون
سان بيير (حاكم القلعة الفرنسية)	

يلقب جورج وشنطن عن جدارة بأبي الشعب الامريكي ، فقد كان القائد الاعلى لجيش الاستقلال والرئيس الاول للجمهورية الامريكية . وكثيراً ما عرضت سيرته اللامعة ممثلة بطولته الحربية . وفي عيد الاستقلال الامريكي تقام الحفلات تكريماً له وتكريماً لبطل الاستقلال ، وتعرض في المعتاد صور من مواقفه الحربية الخالدة تذكر على اختلاف الظروف ، أو صور تمثل نزاهته وبعد نظره وحنكته وتفانيه في سبيل المصلحة العامة .

وفي هذه الرواية صورة غير معروفة لدى كثيرين عن روح المغامرة التي امتاز بها ذلك القائد العظيم النفس ، وعرض للصفات الفطرية الباهرة والسجايا الخلقية النبيلة التي جبل عليها ، والتي أهلته وساقته في النهاية لزعامة أمته ، وجعلت منه مضرب المثل لامم شتى تنشد التوجيه الصادق والحرية والاستقلال.

الفصل الأول

يقع هذا الفصل في بيت القائد روبرت دنودي حاكم مستعمرة فرجينيا بمدينة وليمزبرج صباح اليوم الاول من اكتوبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف للميلاد حيث حضر الميجور الشاب جورج وشنطن ليستأذن الحاكم في السفر مع بعثته في اول مغامرة استكشافية هامة قام بها لمصلحة بلاده :

دنودي — (يقلب أوراقاً بيده) ها . . . إذن اتفقنا يا ميجور .

وشنطن — سأبذل غاية وسعي كي لا أخيب حسن ظنك بي يا سيدي !

دنودي — إني أعلم أنك تواق لانجاز هذه المهمة.

وشنطن - بل ومتطوع لها ، حتى ولو لم تكلفني يا سيدي .

دنودي - هذا ما كنت أنتظره من أخي لورنس وشنطن ، ومن الصديق الحميم لوليم فيرفاكس ، وممن أعده تلميذي النجيب .

وشنطن - هذا شرف لي يا سيدي .

دنودي - لقد بلغت يا ميجور الستين ، ولكن حماستي تنوب عن علو سني . . . ومع أن مدة إقامتي بينكم ناهزت السنتين فحسب ، إلاّ أن خبرتي الاستعمارية ومعرفتي لطبائع الناس تجعلني أشعر بأن وراء الأكمة ما وراءها .

وشنطن - هذا شعوري أيضاً يا سيدي .

دنودي - لا أحب أن أكتم عنك يا ميجور أني سألت غيرك من قبل فتهيّب المهمة ، وما كان سؤالي غيرك إلاّ ضنّاً بك - إي نعم ، ضناً بضابطي الأول الذي أحتاج دائماً إلى مشورته ، وإلى وجوده قربي .

وشنطن - شكراً لثقتك يا سيدي .

دنودي - إن مركزنا لحرج : فلا حامية لدينا ، بل ولا ضباط متقاعدون تمكن الاستعانة بهم لتدريب حامية . وقد أرسلت من قبل وليم ترنت (الذي كان شريكاً لبنجامين فرنكلن) لينذر الفرنسيين المتهجمين على أراضينا وليسلم قائدهم تحذيري ، ولكنه في طريقه علم بأن الموقف أشد خطراً مما تصورت ، إذ أن الفرنسيين دحروا الهنود الحمر من آل ميامي Miami ، وهم الذين سعوا جاهدين لصداقتنا ، وحاربوا الفرنسيين حينما لا نزال محجمين لأننا لا نملك محلياً وسائل محاربتهم ، فلم يسع ترنت Trent إلاّ أن يتخلى عن إكمال رحلته ورجع إلينا تواً بالنبأ الخطير .

وشنطن - لن أتوانى - ذكرت كما قبلاً لسعادتكم - عن تعرف قوة الفرنسيين ، ومبلغ حصونهم من المنعة ، ومواقعها ، ومجمل استعدادهم ، وروحهم المعنوية ، الى جانب اجتذاب الهنود الى صفنا .

دنودي - هؤلاء هم عقدة العقد فاننا نخاف غدرهم في الوقت الذي نريد صداقتهم ، ونقدم اليهم كل رشوة دون جدوى ، ونتحاشى الثقة بهم حتى حينما يبدون انهم مطمئنون إلينا . . . ومن أغرب المتناقضات ما لاحظته ولاحظه أيضاً بنجامين فرنكلن Benjamin Franklin عن تضامن ست من قبائلهم المتوحشة وتعاونهم ، حينما تعجز اثنتا عشرة مستعمرة انجليزية عن الاتفاق فيما بينها ، بل همها التحاسد والتنافر ، بينما الهنود

ينظرون إليهم من ناحية وإلى الفرنسيين من ناحيـة أخرى بعين العجب . . . . وقد كان على ولاية بنسلفانيا على الأقل أن تتآزر معنا . . . . أما وقد خاب أملنا في الجميع فلم يبق الا ان نتحمل العبء كاملاً وحدنا قبل أن تذهب ريحنا من التراخي والاهمال ، وقبل ان يجرفنا جميعاً تيار الصغار والتعصب الأعمى .

وشنطن — إني أومن بكل ما تقول يا سعادة الحاكم ، ولذلك فاني مقدم على مهمتي بخاطر قرير وصدر منشرح ، على الرغم من المشاق والمخـاطر التي أقدرها أو أتخيلها . وإني لكذلك أبغض التعصب الأعمى والحرب بين الأديان كيفما كانت ، فنحن هنا عـشاق حرية ، وقد هاجر آباؤنا إلى هذه البلاد فراراً من المظالم ، ونحن هنا أهل زراعة وصيد وتجارة وصناعة ، والتعصب الأعمى لا يتفق وما ننشده من فلاح يا سيدي ، وعلى الأخص حينما يوجد منافس مهاجم على الأبواب !

دنودي — بارك الله فيك ! هذه هي الروح التي أحبها ، والتي يسرني أنك تشربتها وإني مسرور يا ميجور وشنطن لقيامك بهذه المغامرة عن طيب خاطر ، فان نجاحك فيها سيفتح لك أبواباً أخرى من النجاح والرقي . لقد ضاعت هيبة بنسلفانيا كزعيمة في مقاومة الفرنسيين ، فعلى مستعمرتنا فرجينيا ان تحل محلهـا بحسن التصرف ، استعداداً وإقداماً . . . . والآن دعني قبل أن تفارقني يا ميجور وشنطن ـ دعني أتفرس في القائمة التي أعددتها بأسماء رفقائك ، ولو أني تركت لك الحرية الكاملة في اختيارهم . (يقلب الورق) ها . حسن ! كرستوفر جست ـ هو بلاريب رفيق ملائم لك . لماذا لم تحضره معك ؟

وشنطن ـ سيقابلني في الطريق يا سيدي عند ولز كريك Will's Creek ولولا ذلك ما كان ليتوانى عن التشرف بالمثول والاستئذان في السفر . . . . ومن حظي أن يرافقني ، إذ سبق له أن جال في تلك المنطقة وهو يعرفها بعض المعرفة ، وإذن سيكون بمثابة مرشد لنا ، وعلى الأخص لأننا سنشتري لوازمنا وبنادقنا وخيولنا تباعاً ، وقد اجتهدت في أن أحصر عـددنا في سبعة : بينهم تاجـران وخادمان كما ترى سعـادتك ، وليس معي مكملاً الأعضاء الرئيسيّين للبعثة إلى جانب المستر كرستوفـر جست غير فان برام

دنودي ـ (مقاطعاً ، مدهوشاً) فان برام ؟ أتعني يا ميجور معلم الثقافة ؟ !

وشنطن ـ هو بعينه يا سيدي !

دنودي ـ (متعجباً) تك ! تك ! تك ! . اني لأحمد لك ولاءك لمعلمك ولكنْ ما هأن

هذا الرجل يا ميجور وشنطن بارتياد المجاهل، وبنقلك رسالتي إلى الحاكم الفرنسي في فورت لي بيف
وشنطن – دعني يا سيدي أؤكد لك أولاً أني لا أعرف المجاملة على حساب الواجب سواء أكان فردياً أم خاصاً بعشيرتي !.

دنودي – (مقاطعاً) هذا عهدي بك ، وأنت رجل عمل لا رجل سيف فقط ، ولذلك قدرت حسن رغبتك في الاقتصاد في نفقات البعثة .

وشنطن – كل ميزته في نظري يا سيدي حسن الترجمة عن الفرنسية إذا ما احتجنا إليه في مهمتنا الخطيرة !

دنودي – (مدهوشاً) – الترجمة عن الفرنسية ؟ ! إذن الأسلم لك أن تأخذ معك بدله هرتي العجوز ، فهي تعرف من الفرنسية أكثر مما يعرف . ها ! ها ! ها ! ثم إنها أقدر منه على تسلق الشجر إذا ما فاجأكم الهنود . ها ! ها ! ها ! فان برام مترجم فرنسي. ها ، ها ، ها

وشنطن – لا أنكر يا سيدي أنه هولاندي الأصل ، ولكنه يدّعي البراعة التامة في الفرنسية ، وقد عهدته رجلاً نزيهاً .

دنودي – ها ، ها ، ها ، لك ما تشاء يا ميجور ، وكل رجائي أن لا يصل إليّ تقرير منك تقلب فيه الأوضاع بفضل فرنسية أستاذنا فان برام . . . ها ، ها ، ها ، صدّقني إن هرتي جوزفين Josephine تعرف من الفرنسيـة أكثر منه . . . بل وتجيد النحو والصرف . . . ها ، ها ، ها ، وتحفظ شعر راسين كما يدل مواءها الرصين . . ها ، ها ، ها ، إياك أن تستاء مني يا ميجور لمزاحي فاني أعزك كل الاعزاز .

وشنطن – لست من يجحد ذلك يا سيدي .

دنودي – (متابعاً حديثه) وقد أختلف معك في أشياء كثيرة مستقبلاً ، ولكنني مطمئن إلى أنه لن يختلف اثنان مستقبلاً في أني أحسنت اختيارك لهذه المهمة الخطيرة ، وأني أعطيتك الفرصة لاظهار مواهبك في خدمة قومك . . . وقد تختلف يا ميجور وشنطن مستقبلاً في وجهة النظر الى درجة الخصام .

وشنطن (مقاطعاً) – لا سمح الله يا سيدي .

دنودي – (متابعاً حديثه) هـذا طبيعي في الحيـاة ولن يعاب ما دام الاخلاص شفيعك وشفيعي، وما دام همنا المصلحة العامة ، ولكن حينما يكتب تاريخ قومنا ستذكر الى جانب نبوغك محبة هذا الرجل العجوز لك – مهما ابتعدت عنه – وتمهيده الطريق لصعودك

الفصل الثاني

(في طرف بلدة (فيناتجو) Venango قبيل الوصول إلى مركز قيادة الضابط الفرنسي جوان كاربه Joincare عند غروب الرابع من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف للميلاد ، وثمة طلب وشنطن الى تابعيه أن ينصبوا الخيام وأن يبقوا فيها مع الزاد والمهمات مستصحباً معه فان برام وكرستوفر جست فقط في زيارته للضابط الفرنسي جوان كاربه . وقد تعمد ان لا يصطحب معه من رافقه من الهنود الحمر وعلى رأسهم زعيمهم هافكنج . ويبدأ الفصل الثاني بمخاطبة وشنطن للزعيم الهندي) .

وشنطن (مخاطباً الزعيم الهندي هافكنج) — الآن وقد نصبت الخيام أرجو أن تستريح وتابعاك وكذلك أتباعي والخيل ريثما أتوجه مع زميلي جست وفان برام لمقابلة الضابط الفرنسي في مقره . وقد أردت أن أعفيكم من تعصب الفرنسيين الذميم ومن وقاحتهم ، ولا فائدة على أي حال من ذهابنا جميعاً إليه .

هافكنج — كما تشاء يا سيد . . . لقد أديت واجبي في إرشادكم وكفى ، ولا أظن أني خذلتكم في أي شيء منذ تفاهمنا واتفاقنا بي لجزتاون ، ولا يزال أملي وأمل عشيرتي أن تجزونا وداً بود وثقة بثقة . . . . وإذا كان الفرنسيون قد بلغت بهم البلاهة والتبجح درجة الادعاء بأننا نحن — أهل البلاد الأصليين — لا نملك من تربتها ولا ما يقع تحت ظفر انسان ، فرجاؤنا الحار أن يكون الانجليز أهل حكمة وإنصاف ، حتى لا يخيب أملنا في البيض جميعاً .

وشنطن — ثق يا هافكنج بأني لا يمكن أن أقر أي تعصب ضد طائفة أو دين أو فرد ، ولا يمكن أن أطمئن إلا إلى جو الحرية الشامل الذي يسوي في الحقوق والواجبات بين الجميع ويعطي كل ذي حق حقه .

هافكنج - هذا ما أرتقبه من دماثتك وانسانيتك . لقد قابلت بيضاً كثيرين ولم أر من ضارعك في علو همتك وشجاعتك ، فان الأيام الطويلة التي أمضيناها في الطريق الوعر في جو مضطرب فظيع ، والمشقات الهائلة التي لاقيناها ، لم تزدك إلا صلابة وعزماً في حين تذمر تابعوك حتى المستر جست الخبير .

كرستوفر جست (مقاطعاً) ـ لا أنكر أني تعبت وتذمرت ، وما كنت أنتظر من الميجور وشنطن هذه الصلابة الخارقة . بل لقد بدأت الرحلة متخوفاً من درجة احتماله ، فاذا بالوضع ينقلب ، وإذا به مرشدي بدل أن أكون أنا دليله .

وشنطن ـ شكراً لكل هـذا ، وما قوتي إلاّ بتضامن البعثة ، ولنحمد الله على أننا وصلنا بخير ، والآن فليذهب ثلاثتنا فان برام وأنت يا كرستوفر وأنا لنرى هذا الضابط الفرنسي ولأسلمه رسالة حاكمنا .

هافكنج ـ أحذركم من غدر هؤلاء الفرنسيين فقد سرقوا أراضينا وتبجحوا ، وهـذه الدار التي يسكنها حاكمهم هي لتـاجر انجليزي يدعى جون فريزر John Frazier طرده الفرنسيون منها بكل صفاقة واستولوا عليها وأسكنوا حاكمهم فيها مباهين !

وشنطن ـ سنكون على حذر ! ولتكونوا أنتم أيضاً على حذر فتواروا في الخيمة ولا تقلقوا إذا تأخرنا في العودة ، إذ ربمـا اضطررنا إلى بعض المفاوضة قبل النجاح في مهمتنا وهي إقناع الفرنسيين بالانسحاب من هـذه الأراضي التي هي لنا ولـكم . . . . ولا ريب أن هـذا سيدعو الى كثير من الصبر وضبط النفس وحسن التحايل وإلى الترهيب بكياسة ، وكل هذا سيستوجب وقتاً منا ، فلا تقلقوا . . . . وأظن .

هافكنج ـ (مقاطعاً) لن نقلق ، فكونوا على حذر ، وليكن التوفيق نصيبكم !

وشنطن ـ إلى اللقاء إذن !

(أصوات : الى اللقاء) .

وشنطن ـ هلم يا جاكوب .

فان برام ـ سامحني يا جورج فان قدميّ متعبتان .

وشنطن ـ متعبتان ؟ ! إن قدميّ يا صديقي وارمتان ، لا متعبتان فحسب . ولو أحوجتني الضرورة لزحفت زحفاً لأبلغ هدفي ، وهو الآن ماثل أمامي على بعد ربع ساعة أو أقل ، فهلم بنا يا جاكوب فأنت بطل الساعة .

فان برام ـ (وجلاً) بطل الساعة ؟ . . . أتريد مني يا جورج أن أقوم بالمفاوضة .

وشنطن ـ كلاّ ، كلاّ يا جاكوب ، بل بالترجمة فقط ، هلمّ بنا (يبدأ ثلاثتهم بالمسير)

(يسمع وقع اقدام خلال الحوار دليلا على سيرهم متجهين الى قصر الحاكم)

فان برام — إني ملبّ رغبتك فحسب ، ولكني لا أظن أنكما ستحتاجان إليّ ، والأفضل كرستوفر جست (مقاطعاً وقد عيل صبره) — إذن لمـاذا حضرت معنا يا رجل ؟

وشنطن (عاتباً) — خفف من حدّتك يا كرستوفر .

فان برام — لمـا تطوعت للسفر كان تخيلي لهذه الرحلة خلاف ما رأيت .

كرستوفر جست ـ وما شأن تخيلك بأداء واجبك الآن . . . فقد لا يلم أحدهم بالانجليزية فنحتاج إلى معرفتك بالفرنسية للترجمة ؟

فان برام ـ معرفتي للفرنسية ؟

كرستوفر جست ـ هيبة ؟

فان برام ـ ومن قال إن معرفتي تنزل إلى مستوى هؤلاء ؟

وشنطن (مدهوشاً) ـ إني عاجز عن فهم ما تقول

كرستوفر جست ـ سبحان الله ، أتعني يا جاكوب أنك « تترفع » عن الترجمة لنا الآن إذا ما احتجنا إلى ذلك ؟

فان برام ـ كلاً ، كلاً ، بل إن ما أعنيه أن لهجة هؤلاء الجنود هي عامية ركيكة بعيدة عن علم مثلي .

كرستوفر جست ـ الله أكبر ، وهل كنت تظن أننا أحضرناك لزيارة السوربون ؟

وشنطن ـ ما هذا الكلام يا جاكوب ؟

فان برام ـ هؤلاء يرطنون بلغة ليست من الفرنسية الصحيحة في شيء ؟

وشنطن ـ كيف تقول ذلك وأنت لم تقابلهم بعد ؟

كرستوفر جست ـ لقد أخطأنا مرتين يا جورج ـ الأولى قبول سفره معنا ، والثانية عدم تركه في الخيمة مع الجنود ، ويا ليتهم يرتضون أكله ولو أن لحمه مر أكيداً .

فان برام ـ ها ، ها ، ها ، إكراماً لعيونك يا كرستوفر ، واطاعة لأمر حبيبي جورج سأقوم بالترجمة المطلوبة .

وشنطن ـ انما الاطاعة يا جاكوب لتعهدك الذي يقترن به احترام نفسك .

كرستوفر جست ـ صدقني يا جورج إن السلامة ـ ولست مازحاً فيما أقول ـ هي في الابتعاد عن مزالق صاحبنا ، والخير لنا أن نتفاهم بالاشارة مع من لا يعرف لغتنا عن الركون إليه .

وشنطن ـ دعانا من هذا الحوار ، فقد لا أحتاج الى جاكوب في شيء من هذا القبيل وحسبي خدماته في أثناء الرحلة ، وها نحن قادمون على مقر الضابط ، فيجب أن أبين لكما بعض الأمور لتكونا على حذر ، لتتكلل رحلتنا بالتوفيق التام :ـ

فأولاً – يجب أن تسمعا كثيراً وتتكلما قليلاً لأننا جئنا إلى هنا لنؤدي رسالة، ولنجمع معلومات عن حالة خصمنا، لا لنطلعه على شؤوننا وأسرارنا.

وثانياً – إذا عرض علينا الشراب – كما هي عادة الفرنسيين – فتجنبا الافراط، فالخمر تحل عقدة اللسان ولكنها تكبّل الانسان بالهذيان.

وثالثاً – علينا أن نحول دون التقاء أصحابنا الهنود بهذا الضابط الفرنسي الخلاسي، فان الكابتن جوان كاريه Captain Joincare من أم هندية وأب فرنسي، وهو يعرف لغة الهنود جيداً، ومحبوب جداً بينهم، لأنه بمثابة أحدهم، فهو يشملهم بعطفه السابغ ويغدق عليهم الهدايا، وهو موفق جداً في معاملاته معهم لأنه بارع الحيلة، فاذا التقى بهم وتمكّن من التأثير عليهم فالويل لنا.

كرستوفر جست – اذن علينا ألاّ نذكر ولا كلمة واحدة عن وجود هؤلاء الهنود في صحبتنا.

وشنطن – انى لا أحب الكذب، ولكني لا أحب الثرثرة أيضاً، ومن الممكن أن نكون صادقاً دون أن نخون سرك.

فان برام – الأفضل في رأيى أن نتخلص من هؤلاء الهنود ونرجعهم إلى عشيرتهم.

وشنطن – ما هذا الكلام يا جاكوب ونحن ما زلنا في حاجة إلى خدماتهم، بل سنبقى في حاجة إليها ما دمنا نريد السلام والتقدم لقومنا؟

كرستوفر جست – الحق أقول إن الواجب التخلص منك أنت.

وشنطن – كفى، كفى، فها قد وصلنا وها هو الحارس بالباب، أبلغه أمرنا يا جاكوب.

فان برام – (مخاطبا الحارس) بنجور موسيه.

الحارس الفرنسي – بنجور موسيه.

فان برام – نحن انجليز – كيف صحتك؟ – الجو بديع.

الحارس – حال، حال، ماذا تريد أن تقول يا صاحبي؟

فان برام – كومان سافا؟ – كومان فا لاسانتيه؟ كومان تالي فو؟

الحارس – ماذا بك يا رجل؟

كرستوفر جست (معترضاً، مخاطبا وشنطن) – دعني يا جورج أتولى محادثته قبل

أن تضرب بالرصاص بفضل هذا الأبله .

فان برام (محتجاً) — أبله يا كرستو ؟ ! أهذا جزائي لأنى أ كلمه بجميع اللهجات ؟ أي منعاً للالتباس ؟ ، سبحان الله ، سبحان الله .

الحارس — (مخاطباً الجميع) ماذا تريدون ؟ إذ الوقوف أو التلكؤ هنا ممنوع ، وكذلك إلهاء الديدبان عن واجباته .

وشنطن (متدخلاً) ـ عفواً يا سيدي ، إننا لمكدودون من السفر . . . نحن وفد من حاكم فرجينيا نحمل رسالة إلى حاكمكم ، فهل من الملائم مقابلته الآن ؟

الحارس ـ طبعاً ، طبعاً .

وشنطن ـ إنى رئيس الوفد واسمي جورج وشنطن .

فان برام (مقاطعاً) الميجور جورج وشنطن .

وشنطن (متابعاً حديثه) ـ فهل تتكرم بإبلاغه عن حضوري وحضور زميلي السيد كرستوفر جست والسيد جاكوب فان برام ؟

الحارس ـ بإذنك يا سيدي سأذهب لتبليغ جناب الكابتن .

(يدخل الحارس لتبليغ الكابتن جوان كاريه)

وشنطن ـ أملي ألا تنسيا النصيحة الثلاثية التي قدمتها لكما ، فعليها يترتب نجاحنا في هذه المقابلة .

كرستوفر جست ـ لك يا جورج أن تعتبر جاكوب قد نسيها تماماً ، وهأنذا أرى لعابه يسيل شوقاً إلى الخمر الفرنسية المعتقة .

فان برام ـ سنرى يا كرستو أينا سيكون أحرص على نصيحة جورج .

(يعود الحارس بعد ابلاغ الكابتن جوان كاريه)

الحارس ـ الكابتن في انتظاركم يا ميجور ، تفضلوا بالدخول .

وشنطن ـ شكراً .

(يدخلون)

جوان كاريه ـ أهلاً بكم يا سادة ،

وشنطن ـ إنى جورج وشنطن ، ومركزي ميجور في حامية فرجينيا .

جوان كاريه ـ تشرّفت يا سيدي .

وشنطن ـ وهذان زميليّ جاكوب فان برام وكرستوفر جست.

جوان كاريه ـ تشرّفت بلقائكما يا سيدي.

وشنطن وزميلاه ـ الحظ حظنا يا سيدي .

جوان كاريه ـ تفضلوا بالجلوس .

(يجلسون)

سمعت من حارسي يا ميجور وشنطن أنك تحمل رسالة من السيد روبرت دنودي حاكم فرجينيا ، فهل هي باسمي خاصة

وشنطن ـ إنها يا سيدي الكابتن باسم ضابط الفرنسيين هنا فحسب ، وهي تتعلق باعتراضنا على توغلكم في أراضينا .

جوان كاريه ـ تعني أنها بمثابة احتجاج .

وشنطن ـ إنها اعتراض ودي للغاية .

جوان كاريه ـ لا ريب ، لا ريب ، . . . . ولكن دعني أولاً أحصل على وعدك بأنك ورفيقيك ستتعشون معي الليلة ، ولحسن الحظ عشاؤنا مبكر فلن أعطلكم .

وشنطن ـ هذا سرور وشرف لنا يا سيدي .

جوان كاريه ـ حسن ، تفضلوا إذن بتناول بعض المشهيات ،

(يملأ أقداح الشراب)

وشنطن ـ الشراب لا يلائم صحتي ، فلا تعطني إلاّ قليلاً ، واسمح لي أن أقدم إليك رسالة رئيسي (يقدم إليه الرسالة) . . . لا يا سيدي هذا مقدار كبير .

جوان كاريه ـ آنكرويابل ، Incroyable ـ هذا أفخر نبيذ عتّقه (لا سال) La Salle منذ ستين سنة حينما اكتشف النهر وهذه البقاع وأثبت حقنا الصريح فيها ؟

وشنطن — هذا الحق ننكره بتاتاً يا سيدي ! ولاسال هذا لم نسمع به من قبل ...

جوان كاريه ـ ولكنك لا تستطيع أن تنكر حق نبيذنا الفاخر . ها.ها.ها في صحتكم يا سادة ها.ها.ها. انه يا سيدى اعظم خمار (يقرعون الاقداح ويشربون) . لم تسمعوا بلاسال . في صحتكم .

وشنطن وزميلاه — في صحتك يا سيدي هذا يكفيني . اعفني من مزيد .

جوان كاريه — آنكرويابل . إن الملائكة لا تزور الأرض الا لسرقة هذا النبيذ . ها. ها. ها. هذا ما يؤكده لي خادمي ميشيل تفسيراً لضياع نصف القناني . ها. ها. ها.

فان برام — لا تحمل همًّا يا سيدي ، فسأشرب نصيب الميجور (تملأ الأقداح ويشرب الجميع الا وشنطن) .

وشنطن — (مخاطباً فان برام) لا اظنك تستطيع احتمال هذا النبيذ القاهر

كرستوفر جست — سأساعده على احتماله بكل سرور

وشنطن — (بصوت منخفض) حتى انت يا كرستوفر . لا تخيّب رجائي فيك .

كرستوفر جست — لن اخيّبه ، فطاقتي عظيمة يضرب بها المثل .

جوان كاريه (وقد بدأ يثمل) — حسناً يا موسيه — ان نصيب الميجور هو ضعف نصيب كل منا. ها . ها . ها . فهو ميجور بينما أنا كابتن فقط ها . ها . هلّـوا بأقداحكم . ها. ها ها . (تملأ الاقداح ويشرب الجميع إلا وشنطن)

وشنطن — هل تأذن يا سيدي بتلاوة الرسالة أولا قبل ان تشغل بضيافتنا ؟

جوان كاريه — (ينظر في لرسالة ثم يخاطب الميجور وشنطن) الحق أقول لك يا ميجور إن عليك ان تأخذ هذه الرسالة الى رئيسي القائدسان بيير في قلعة (فورت لي بيف) وهي على مسير اربعة ايام اخرى.

وشنطن (ضجراً) — اربعة ايام اخرى !

فان برام (ثملاً) — عليّ بالبرندي يا سيدي الكابتن ليجلو ذهني اكثر !

كرستوفر جست — أربعة أيام أخرى بعد ان قطعنا اكثر من خمسمائة ميل في واحد وأربعين يوماً وفي افظع جو عرفته الكرة الارضية المسكينة ؟ وفي شهر ديسمبر الكحيان ؟ عليّ أنا ايضا بالبراندي يا كابتن

جوان كاريه — يظهر انكما اعقل مني ولكن منعاً لسوء التفاهم سأخلط البراندي والنبيذ بالتساوي . كما كان يفعل آلهة الهنود . ها .ها .ها .

وشنطن — الا يمكن يا جناب الكابتن ان نعالج هذه المسألة معاً هنا دون الاضطرار الى التوجّه الى (فورت لي بيف) .

جوان كاريه - ياليت هذا بامكاني ياسيدي فأنتم قوم لطفاء ولكنه ليس من اختصاصي

قائد برام (مقاطعاً) — ياليتنا نبقى هنا طويلا حتى نؤدي واجب الاحترام لنبيذكم الموقر ها. ها. ها. ثم لأتخاطب مع برميله العزيز بالفرنسية الاصولية العريقة ها.ها.ها.

جوان كاريه — إنه فعلا برميل ثرثار، لا يقفل فمه طول الليل والنهار، ونحن جد سعداء بثرثرته ها. ها. ها.

وشنطن — لا اريد ان اجادلك يا كابتن في حقنا المقدّس بهذه الاراضي، وهوحق يعترف به الهنود انفسهم الذين ينظرون اليناالنظر الأخ الى اخيه.

جوان كاريه - (مقاطعاً) - الهنود؟! إيه.

وشنطن - لا أريد أن أجادل في هـذه النقطة، ولكن ألا ترى من الحكمة يا كابتن - وفرجينيا لها من القوات الحربية مالها، فضلاً عن عدالة قضيتها - انسحاب جنودكم عن هذه الأراضي، وتنبيه القائد سانت بيير إلى ذلك؟.... إنك لتخدمه بمثل هذه النصيحة الصريحة أجل خدمة. ثم إنه ليست لكم حصون تقوى.

جوان كاريه (مقاطعاً) - قوات فرجينيا الحربيـة.. : ها، ها، ها، ليست لنا حصون.... ها، ها، ها، بعد العشاء يا ميجور سأحدثك طويلاً عن حصوننا وقواتنا، لعلك أنت تستطيع إقناع الحاكم دنودي بالتخلي عن أحلامه الفارغة، فنحن معشر الفرنسيين - مصممون تصميماً على الاستيلاء على أراضي الأوهايو جميعها وسنحقق ذلك حتماً! وأما الهنود فليسوا غرباء عني.

قائد برام (مقاطعاً) حقيقة الهنود الذين معنا ظرفاء، وقد جاءوا.

وشنطن (مقاطعاً قائد برام. بصوت منخفض) - صه يا أبله،... كفى حماقة وضرراً.

جوان كاريه (مقاطعاً، مدهوشاً) - أمعكم هنود إذن؟

وشنطن (محرجاً) ثلاثة فقط كأدلة.

جوان كاريه (مدهوشاً) - لماذا لم تذكرهم لي، إذ كان يسرني الاحتفاء بهم أيضاً؟

وشنطن (محرجاً) - قدرت أنك لن ترغب في مقابلة أمثالهم.

جوان كاريه - بالعكس! ولذلك سأرسل - بازيك - في طلبهم!

وشنطن - صدّقني يا كابتن... إني الآن مهتم بسرعة قطع الاربعين أو الخمسين

ميلاً الباقيـة لبلوغ Fort Le Boeuf ، ولا بدّ لنا من الرحيل فوراً ، دون ما حاجة إلى مجاملة أحد من أتباعي .

جوان كاريه ـ إني لا أتعمد مجاملة أحد . . بل هو واجب عليّ . . ثم ها هو الجو الفظيع لن يسمح لكم بالرحيل مباشرة ، كما أني معتزم أن أرسل حرساً معكم فلا تحمل هماً ، وازاء البرد الشديد والمطر الهطال المنذر بالوبال لا مفرّ من بقائكم معنا هنا أياماً . . . فلنشرب نخب بقائكم معنا .

كرستوفر جست — هذا هو المعقول (يملأ الأقداح ويشرب الجميع ما عدا وشنطن)

فان برام — ولا ريب أن هافكنج لن يتضجر . لا ، لا ، بل سيرقص حتماً بتذوق هـذا النبيذ الراقص ، سيرقص رقصاً هندياً فرنسياً انجليزياً معاً دفعة واحدة ، ها ، ها ، ها .

جواز كاريه (مدهوشاً) — ها فكنج ، أهو معكم ؟ .

وشنطن (مخاطباً فان برام سراً) — خذلتنا خذلك الله .

(مخاطباً جوان كاريه) — نعم ، إنه معنا ، وهو معتكف مع رجليه في خيمتهم

جوان كاريه (مدهوشاً) — عجيب والله ، أيوجد هافكنج هنا وأنا أجهل وجوده ، إن لديّ هدايا تسره وتسر زميليه .

وشنطن (مخاطباً جست وبرام) — أرأيتما كيف فتحتما علينا حرباً باردة لم تكن (مرّ) على البال .

جوان كاريه — لقد أسعدتموني بهذ الخبر يا ميجور .

(منادياً أحد الحراس) — هلمّ يا حارس وادع أولئك الهنود الكرام من مخيّم الميجور ، بعد إهدائهم أطيب تحياتي ، وإياك أن تسمح لحيائهم أو لتواضعهم بالحيلولة دون ائتناسنا بهم ها ، ها ، ها .

الفصل الثالث

المنظر الأول

(يتألف الفصل الثالث من منظرين : فأما المنظر الاول هذا في مقر الحاكم الفرنسي ليجاردير دي سان بيير في فورت لي بوف نهار الرابع عشر من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف وقد

حضر كل من وشنطن وقان برام وجست لمقابلة الحاكم مرة أخرى بعد وصولهم منذ يومين . وبينما هم في انتظار دعوتهم لمقابلته كان وشنطن يتحدث الى زميليه .

وشنطن — لا أريد يا جاكوب أن يتكرر هنا ما جرى في فينانجو Venango من مهازل كادت تقضي علينا بالفشل

فان برام — أؤكد لك يا جورج أنى لم أكن في وعي .

وشنطن لا حاجة بي إلى هذا التأكيد .

كرستوفر جست — إنى معترف بذلتي أيضاً ، وقد استغفرتكم من قبل .

وشنطن — ليست المسألة مسألة اقرار واستغفار ، بل هي مسألة حذر واعتبار أخطاء الماضي ، فالانتفاع بها الآن يعوضنا عما سلف وينسينا اياه

كرستوفر جست — انى غير مطمئن الى هذا القائد الأعور .

فان برام — ولا أنا فهو يتهارب من الاتصال بنا تهارب الجراد النطاط ممن يقترب منه

وشنطن — ان جميع الأساليب التى اتخذها الفرنسيون في فينانجو اولاً للوقوف على أسرارنا . وثانياً لدق اسفين بيننا وبين حلفائنا الهنود مستعينين بالوعود البراقة الخلابة وبالهدايا والخمر ، هي كلعب الأطفال بالنسبة لما انتظره هنا من دسائس ومؤامرات لبلوغ الهدفين ذاتهما ، فحذار حذار إن حضور أربعة من الفرنسيين معنا كحرس صوري لم يكن عبثاً ولالأجل حمايتنا طبعاً ، ولا ريب عندي في كنه الرسالة التي يحملها الضابط الفرنسي لافورس ضد مصلحتنا ، فاذا لم نبق يقظين ضعنا حتماً أو عدنا مدحورين نجرّر ذيل الخيبة .

فان برام وكرستوفر جست ـ كن مطمئناً يا جورج

وشنطن ـ إن اهم امرهو حمل هافكنج على قطع علاقته بالفرنسيين ، ثم عودتنا سريعاً الى وليمزبرج Williamsburg برد سانت بيير ـ اذا امكننا الحصول عليه ـ وبما في ذاكرتنا من الملاحظات الخطيرة على الاستحكامات والذخائر وقوارب النقل العديدة والاستعدادات العظيمة للزحف على بقية الاوهايو Ohio وانتزاع اراضيه منا . اني لا استطيع أن افرط ولا في يوم واحد ، فالفرنسيون متأهبون لهجوم عاجل ، ولا يؤخرهم عنه سوى حالة الجو السيئة وارتقابهم الفرصة المواتية .

كرستوفر جست ـ لا ريب في كل هذا ، وفي المناه الذي ينتظرنا في مقاومة دهاء

خصومنا المتعدّد الجوانب .

وشنطن - سيعملون على عرقلة سفرنا ، وسيعملون على التفرقة بيننا وبين هافكنج ، وسيعملون على التفرقة بين الهنود أنفسهم تمهيداً لضمهم فيما بعد تحت جناحهم . والغنم الوحيد المهمّ الذي في ايدينا هو ما احرزناه من معلومات عن استعدادات خصومنا ، ولن يكون غنماً الا اذا نقلنا هذه المعلومات سريعاً الى قومنا ، فعلينا أن نصفي موقفنا اليوم ، ثم نبدأ بالعودة ومعنا الهنود .

فان برام - اني مستعد لاية ترجمة من جميع اللهجات ولن اشرب الا نخبك ونخب جنرالنا في ولمزبرج اقسم على ذلك يا جورج .. اقسم (يسمع وقع اقدام مقتربة)

وشنطن — صه . فاني اسمع وقع اقدام (يدخل احد الحراس)

الحارس تفضلوا أيها السادة بمصاحبتي ، فالحاكم بانتظاركم !

وشنطن — شكراً !

(يمضون الى قاعة الاستقبال)

سان بيير — أهلاً بكم يا سادتي ! لعلكم نعمتم بالراحة ليلة أمس ! تفضلوا بالجلوس .

وشنطن — شكراً يا سيدي ، لقد استرحنا فعلاً . ونودنا أن تتفضل اليوم بجوابك عن رسالة حاكم فرجينيا ، لأن حالة الجو وأحوالنا عامة لا تسمح بزيادة الانتظار .

سان بيير — هيهات أن أرتضي تعطيلكم يا ميجور . ولكنه لم يمض عليّ هنا قبل حلولكم سوى أسبوع خلفاً لسلفي المرحوم الجنرال ماران Marin ، وعلى هذا فاني ما زلت في حكم الغريب عن المنطقة ، ومن رأيي أنه لا بدّ لك من التوجه إلى كويبك Quebec لمقابلة حاكم كندا .

وشنطن — لا أشك يا سيدي في أن حكمتك كافية لحل هذه المسألة ، وخصوصاً لأن الأوامر التي تلقيتها تنص على تسليم هـذه الرسالة إلى القائد الفرنسي لدى الحدود ، وليس بيدي من السلطة ما يبيح لي تجاوز حدود المنطقة التي تحتلونها أو تسليم هـذه الرسالة إلى أحد آخر .

سان بيير — لا أدّعي لنفسي مثل ما لكم من الألمعية يا ميجور ، وما زلت أعتقد أن المركيز دوجزنيه حاكم كندا هو المختص بذلك وما يقضي به سيكون قانوناً لي .

المنظر الثاني

(في طريق العودة الى مخيم وشنطن و جماعته أصيل اليوم نفسه بعد ان تغدى وصاحباه مع حاكم المنطقة ليجاردير سان بيير).

كرستوفر جست (مخاطباً وشنطن) هذه مفاجأة تهنئاً يا جورج حسن تصرفك فيها

فان برام — ما زلت مشدوهاً لا أصدق كيف انقلب الوضع رأساً على عقب هكذا

وشنطن — ليس على وما وصفت، ومع ذلك فالفضل في ذلك راجع إليكما!

كرستوفر جست وفان برام (متعجبين) — إلينا نحن؟.

وشنطن — نعم، نعم، فانكما تحاشيتما الافراط في الشراب فلم يستطع ذلك الخبيث أن يبلغ أسرارنا . . . أتعلم يا جاكوب أني في طفولتي كتبت في كراستي قواعد للسلوك ما زلت محافظاً عليها حتى اليوم: منها أن لا أتطوع بالنصيحة لمن لا يسألني إياها، ومنها أن لا اقبل عملا لا اقدر عليه ومنها المحافظة على وعدى ومنها ان لا اخلط الهزل بالجد أبداً ولو تبسطت وتلطفت . . نعم ما زلت أحاسب نفسي بهذه المقاييس دون أن أندم مرة، وأرتقب من زميلائى مثل ذلك، وهكذا تكون وحدة منسجمة موفقة. فاستجابتكما الطيبة إليّ مكنتني من تبديل موقف سان بيير نوعاً.

فان برام — شكراً يا جورج على رضائك.. وعهدي أنك نجحت نجاحاً باهراً.

كرستوفر جست — لا ريب.

وشنطن — كل ما حدث أني أقنعته بقبول الرسالة وبالرد عليها، وكأنه ما رد عليها، إذ غاية ما صنعه في ثنايا تحياته ومجاملاته الطويلة العريضة انه وعد دنودي بتحويل رسالته الى المركيز دو جزنيه Marquis Dugusne حاكم كندا، وكرر له الأعذار التى غمرنى بها . . وإذن لم نغنم من هذه الناحية شيئاً، وإنما غنمنا سيكون بتمكيننا من السفر فوراً، كما ذكرت لكم قبلاً، بعد أن نحقق قطع العلاقة بين الهنود والفرنسيين فنأمن من شر بقائها.

كرستوفر جست — هذا ما وعد به هافكنج، وهو مصمم على رد « نطاق المودة » الذي يرمز الى صداقة الفرنسيين الى سان بيير، ولكن سان بيير يتهارب من مقابلة هافكنج.

فان برام — ان هافكنج مصمّم على رد « النطاق » علناً الى الحاكم في اجتماع هام حتى تكون لقطع العلاقات صفة رسمية .

وشنطن — أما وقد غنمنا قاربين من سان بيير فخطتي هي ما يأتي : —

أولاً — حمل هافكنج على مقابلة سان بيير الليلة في اجتماع علني حتى يقطع فيه صلات المحالفة مع الفرنسيين ، فنستطيع أن نسافر غداً مبكرين ان لم نسافر الليلة .

ثانياً — أن أطلب إلى ثلاثة من رجالنا أن يعودوا بالخيل دون أحمال إلى (فينانجو) فوراً . فاذا عاشت هذه الحيوانات المنهوكة القوى واستطاعت تحمل مشقة السفر ووجد رجالنا أن النهر تجمد إلى درجة تسمح بحمل ثقلها ومرورها عليه فسيكون بوسعهم الوصول إلى (فينانجو) وانتظارنا هناك ريثما نصل بالطريق المائي ، وسنكون نحن في قارب ونضع الهنود في القارب الآخر . أما اذا وجدوا تجمد النهر غير كاف لتحقيق ذلك فيمكنهم أن يستمروا في سيرهم حتى يبلغوا تفرع (الأوهايو) وثمة ينتظرون وصولنا .

ثالثاً — إلى جانب كسبنا يوماً على الأقل لهذه الخطة — إذا ما وفقنا إلى تحقيقها — يهمنا أن نداْب على إقصاء الهنود عن شراك الفرنسيين التي أحكموا نصبها ، وأن نخلّصهم معنا في غير توان ، فالخطر عظيم .

فان برام — يلوح لي أنهم أشوق منا إلى ذلك .

وشنطن — سنرى .

الفصل الرابع

المنظر الاول

(يتألف الفصل الرابع من منظرين : فأما المنظر الاول هذا فيقع مرة أخرى في (فينانجو) في طريق العودة من (فورت لي بيف — الى وليمزبرج في اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعد الالف ، وهو اليوم الذي بارحها فيه وشنطن وجماعته البيض ، تاركين الهنود فيها ، ووجهتهم أولا بلدة مرذرنج . ويبدأ المنظر بحوار هام بين وشنطن وفان برام وجست قبيل رحيلهم .

فان برام — سأتبع تعليماتك المكتوبة ياجورج ، ولن يظفر بها أحد مهما يساومني بالروم والبراندي ، وسأعني بالحقائب والأمتعة حرصي على ما تركته من مال بيدي ، فلا تخف ولا تقلق ، إلاّ إذا تخوّفت من نفسك .

وشنطن — لا تثق بأحد يا جاكوب ، ولا تنس أننا تؤدي مهمة لقومنا ولأحفادنا ، لا لأنفسنا بالذات فحسب .

كرستوفر جست — (مازحاً) لا ريب أن المخاطر والمشاق الهائلة التي واجهناها قد أبلغت جاكوب سن الرشد .

فان برام — بل أبلغتني الشيخوخة ، وكادت تبلغني القبر ! ... وإني لآسف لخيبة فراستي في هافكنج ، وفي الهنود الذين كان يفاوضهم ، وكنت أتمنى لو عاد معك .

وشنطن — لقد عانيت الأمرين في إخراجهم معنا من (فورت لي بيف) ازاء مؤامرات الفرنسيين العميقة التي تسندها الهدايا والخمر والمكافآت بل والأسلحة أيضاً . وهأنذا أواجه المشكلة ذاتها هنا ، ولو أن أمر جوان كاريه جدّ هين بالنسبة لرئيسه سان بيير الذي ضحك من هافكنج فاستقبله في مجلس خاص تلك الليلة ، وعطّله وعطلنا حتى صباح اليوم التالي ، بل كان يريد أن يستبقيه ومن معه ، مرغباً إياهم بهدايا من البنادق ينتظرها ، كما أنه رفض قطع الصلة بالهنود ، وكاد يضيّع علينا سفرنا لولا أني واجهته في صراحة مواجهة المتهم بتعطيل عودتنا إذا لم ينجز عمله مع الهنود فوراً .

كرستوفر جست — ولماذا تنسى ألاعيب الهنود في الطريق واختفاءهم بقاربهم حيناً ثم ظهورهم ، ثم اختفاء أحدهم وتعطيلنا حتى يعود ، فضلاً عن عناء المطر أو الثلج المتواصل هطوله تقريباً ، وعناء السير بالقوارب في مياه غير مأمونة الذوبان والتجمد ، واضطرارنا إلى حمل القوارب براً أحياناً ، وفضلاً عن ذلك ....

وشنطن — المهم الآن أن نودّع جاكوب ونستأنف رحلتنا فالمركز حرج ، ولو أني واثق من أن دنودي غير نائم ، ولا بد أنه بدأ بالحصن الجديد في الموقع الذي اخترته له دون انتظار عودتنا .

كرستوفر جست — ولعله قدّر أننا لن نعود ، فمخاطر الطريق أكثر من أن تستقصى ، انى أكتب يومياتي يا جورج كما تفعل ولن يعوقني ذكر كل هذا ، فاننا بالفعل نفتح صفحة جديدة من التاريخ لقومنا تحت قيادتك .

وشنطن — إذن وداعاً يا جاكوب ، وإلى اللقاء .

كرستوفر جست — إلى اللقاء يا جاكوب .

فان برام — إلى اللقاء يا صديقيّ .

(يركبان جواديهما ويسيران كما يركب معهما بقية الاتباع البيض)

وشنطن ـ أتعلم يا كرستوفر لما تركت هافكنج خلفنا.

كرستوفر جست — لأنه ميؤوس منه .

وشنطن — بل لأن مستقبل الأوهايو كله ومستقبل قومنا يثبّت على اسراعنا بكل ما في وسعنا من حيلة وقوة في حين أن كل ما يترتب على هافكنج الآن صداقة ست قبائل هندية ، وقد حذّرته جهدي من جوان كاريه فأجابني عن ذلك بأنه صديقي الحميم ، وأنه يحترمني ويحبني ، وانه يؤمن لي بمستقبل باهر ، كما انه تفضل وأطلق عليّ لقب « فاتح المدينة » وهو اللقب الذي اطلقه الهنود من قبل على جدي الأول ، وهكذا ترى انه تعلم المجاملات الفارغة التي يتقنها الفرنسيون فحسب !

كرستوفر جست — ليست هذه مجاملات يا جورج ، فمثل هذا الهندي يفيض قلبه على لسانه وأنا أيضاً أومن بأن نجمك في صعود .

وشنطن ـ (منادياً اتباعه) قفوا يا رجال . (يتوقف ويتوقف الجميع ويسمع صهيل الخيل)

كرستوفر جست (دهشا) ـ ماذا جرى ؟

وشنطن ـ الا ترى ماذا جرى ان الخيل منهوكة القوى ولا يمكنها ان تسير بنا . انها ضعيفة وجوعانة ايضاً ، ولا بد ان نتوقف هنا ونريحها ولو اننا ما كدنا نبرح فيننانجو لم يبق على عيد الميلاد غير يوم واحد ، ومع ذلك فلا مفر لي من اصدار امري غداً بأن يترجل الجميع رفقاً بهذه الحيوانات ما عدا السائقين ، وان توزع الأحمال عليها . وسنقضي عيد الميلاد سيراً على اقدامنا . هذا هو الخلاص الوحيد لنا لاداء رسالتنا كيفما كان تقلب الجو وكيفما كانت المخاطر والعقبات .

كرستوفر جست (دهشاً) لا ريب انك جندي باسل ، ومسّاح ماهر ، ومزارع قادر ولكن رأيك هذا لا اعرف اين اضعه بين هذه الصفات ، فانك تطالب بعمل المعجزات

وشنطن (في حزم) ـ ليس هذا رأياً يا كرستوفر ، بل هو امر وقرار .

المنظر الثاني

(في مقر الملكة الهندية اليكويبا حيث توجه وشنطن لزيارتها بمفرده في نهاية شهر دسمبر من العام السالف الذكر ، بينما كان اتباعه يستبدلون الخيول بأخرى اصبح جادين في البحث عنها ، وقد اتخذت الملكة الهندية مقرها في الموقع الذي قامت عليه الان مدينة (ماكيزبورت) في بنسلفانيا . ويبدأ المنظر بترحيب الملكة بضيفها ومعاتبته على تحاشيه زيارتها من قبل في طريقه ذهاباً الى نوفرت لي بوف)

الملكة اليكوبيا — إني لسعيدة جداً يا سيدي الميجور بحضورك خصيصاً لزيارتي وان عتبت عليك لنسيانك اياي قبلاً في طريقك الى فورت لي بيف، ولكنّ دعايتك تجعلني اغفر لك تلك الهفوة : كما تغفرها لك هديتاك النفيستان وخصوصاً زجاجة « الروم »

وشنطن — لم انسك يا سيدتي.. ثقي من ذلك.. وانما حسبت اني سأملك وقتاً اطول في العودة للتشرف بلقائك، كما اني أردت ان اسابق الزمن — قبل ان يسوء الجو في التوجه الى القيادة الفرنسية. ولكنّ الحظ عاندني كما ترين، وقد تعطلت كثيراً ولا بد لي من الاسراع بالرجوع الى وليمزبرج بالرد على رسالة رئيسي.

الملكة اليكوبيا — ولكن لماذا لم تحضر رجالك معك، فقد كانت تسرني مقابلتهم ؟

وشنطن — انهم يا سيدتي على بعد ثلاثة أميال من هنا يبحثون عن خيول قوية بدل خيولنا الهزيلة حتى نتمّ رحلتنا في سلام

الملكة اليكوبيا — (دهشة) اقدمت اليّ مترجلاً إذن؟

وشنطن — نعم يا سيدتي . بل جئنا مترجلين طول رحلتنا تقريباً بعد مبارحة فينانجو!

الملكة اليكوبيا — ماذا تقول يا ميجور ؟ انها لمجازفة خطيرة . وانه لحظ نادر انكم لم تصابوا بأذى !

وشنطن — لقد تعرّضنا لقسوة الطبيعة وغدرها مراراً ، كما تعرّضنا لكمين ، وتعرّضنا لغدر الدليل بنا واطلاقه الرصاص علينا ، وتحايلنا لنهرب ليلاً وسط ركام الثلوج ، وذقنا آلام الصقيع الذي جمد اقدامنا وأصابعنا ، وواجهنا الموت عياناً غير مرة ، ولكن كل هذا لم نعتبره شيئاً مذكوراً بجانب مواجهة الفشل !

الملكة اليكوبيا — اسمع يا بني . هذه ليست كلمات ميجور ولا رسول .. بل كلمات زعيم لأمة حتى ولو كنت اقتحمت هذه المخاطر تناسياً لحب فاشل !

وشنطن — شكراً يا سيدتي . (يسمع صهيل خيل) اظن رجالي قد اتوا !

[النهاية]

الجنرال ستون

تمثيلية في ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

الخديو اسماعيل	الجنرال لورنج
الجنرال شارل ستون	عثمان — خادم الجنرال ستون النوبي
الجنرال سبلي	أمينة (زوجة عثمان)

(يمثل المنظر الاول قاعة الجلوس في منزل الجنرال ستون على شاطىء النيل بالقاهرة قبيل الغروب في اليوم الاخير من اكتوبر ١٨٧١ ، وهو يحادث خادمه عثمان بينما كان في انتظار حضور كل من الجنرالين سبلي ولورنج).

الجنرال ستون — . . . . وهكذا يا عثمان أشعر كأني في وطني الأصلي ، لأن التجاوب كامل بيني وبين بلادكم اللطيفة الظريفة . . . . فشأني يا عثمان شأن النبات الذي ينعم ببيئة جديدة لأن فيها شمائل كثيرة من بيئته الأصلية ، وربما ازداد ترعرعاً .

عثمان (دهشاً) — إني عاجز يا سيدي عن فهم هـذا الـكلام ، لا تؤاخذني يا سيدي فلست من خريجي المدرسة ، كل ما أحذقه خدمة البيت .

الجنرال ستون — هـذا ما كان يقوله خادمي السابق عبد الله رحمة الله عليـه أول ما التحق بخدمتي ، ولـكنه تطوّر فصار يفهمني جيداً ، وكان يلتذ بمناقشتي ، وستتطور أنت كذلك .

عثمان (دهشاً) ـ تطور ؟ ، أتطوّر يا سيدي ؟ ، قد أكون جاهلاً ولـكني لست بهيمة يا سيدي .

الجنرال ستون ـ ها ها ها ، أنت طيب القلب يا عثمان ، مرادي أنه تقدّم في فهمي بمر الأيام ، ولـكنه بقي معي مدة طويلة ، وكان يقرأ ويكتب فأطلعته على أشياء كثيرة ، وكان فخوراً بجدك اخنتون!

عثمان (دهشاً) — جدّي اخ . اخ ... اخنتون ياسيدي ؟! إنّ جدي يا سيدي هو عبد الستار الميرغني ، وكان من كبار ملاك النخيل في بلدتنا ، ولـكنّ الحاكم الجائر أضاع علينا ثروتنا . . . . رحمة الله عليه .

الجنرال ستون ـ رحمة الله عليه ، إنك لم تفهم قصدي يا عثمان . . غرضي .

(يسمع مواء هر)

الجنرال ستون ـ دعه يا عثمان ، لا تبعده عني ، إني أحب القططة كما كان يحبها أجدادك الذين وضعوها موضع العبادة ، (يتكرر مواء الهر) .

عثمان (دهشاً) أستغفر الله العلي العظيم ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله (مخاطباً نفسه) يظهر أن الرجل أصيب بالخبل ، ما كان أولاني باجتناب العمل عنده .

الجنرال ستون ـ تعال هنا يا عنترة (مخاطباً الهرّ) (يتكرر مواء الهر) .

(مخاطباً عثمان) ـ أنظر يا عثمان كيف يتمسح بي . أنه ليفهمني جيداً . . . والحيوانات كالآدميين ، بل ككل شيء حيّ ذات فصائل وسلالات معيّنة في صفاتها وخصائصها ومنها مبلغ فهمها وعاطفتها وكيفية سلوكها ، ولو أن للظرف المحيطة بها أثراً بالغاً في تطورها .

عثمان (مقاطعاً) ـ لا تؤاخذني يا سيدي . . ولكني لا أفهم أكثر هذا الكلام .

الجنرال ستون (متابعاً حديثه) ـ كنت أقول إن هذا الهر سليم النية مثلك

عثمان (دهشاً) ـ مثلي يا سيدي ؟ .

(مخاطباً نفسه) ـ لم يبق لي أكل عيش هنا .

الجنرال ستون ـ ولكنه يفهمني ، إنه على نصيب من الذكاء . . . أتعلم يا عثمان أن أجدادك كانوا يقدسون هذا الصنف من الهررة .

عثمان (دهشاً ، مشفقاً على الجنرال) ـ لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، لا تقل يا سيدي أجدادي ، أأنتسب أنا إلى عبدة القططة ، ! لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

الجنرال ستون ـ انهم لجديرون بفخرك ، فقد كانوا أهل حضارة عظيمة . . . أتعلم أن هراً كهذا نادر الوجود في وطني أمريكا ، وقد يبلغ ثمنه ما يعادل عشرين جنيهاً ذهباً .

عثمان (دهشاً) ـ عشرين جنيهاً ذهباً يا سيدي ، ! هذا ثمن ولد من العبيد .

الجنرال ستون ـ ها ها ها ! إن زمن النخاسة انتهى يا عثمان ولملككم العظيم فضلاً في ذلك لا يجوز أن ينسى . . . كنت أقول يا عثمان إنه ربما لا يوجد في أمريكا كلها أكثر من ثلاثين قطة من هذا الصنف الذي يتميز بعيونه الخضر ، وبلونه الذي يضرب

عادة إلي الحمرة المشوبة بالصفرة . . . وهذا ما يطابق قطنا « عنترة » .

عثمان (مقاطعاً) ـ قبّح الله هـذين اللونين يا سيدي . . . أنهما لونان خادعان مؤذيان . . . ولذلك أود يا سيدي أن أهدي إليك قطة بيضاء جميلة مؤدبة إسمها « ياسمينة » ، (يسمع مواء الهر)

الجنرال ستون (مازحاً) ـ أسمعت يا عثمان ، انه يحتجّ عليك بشدة . . (يتكرر مؤاء الهر) حاذر ! ان قدمك فوق ذيله .

عثمان ـ إنك يا سيدي تدلله كثيراً . . . والاولى قطع ذيله قبـل أن ينبت ذيولاً أخرى .

الجنرال ستون (مارحاً) ـ حسناً ، حسناً يا عثمان ، هذه نكتة ظريفة ، وإني لأحب أن أراك مرحاً ، فالمرح لب الحياة الحقة .

عثمان ـ لا أعرف التنكيت يا سيدي ، ولم أقل إلاّ الجدّ ، فقد حلمت أن هذا القط كبر جدًّا في حجمه ، ثم انقسم إلى قسمين كالتوأمين ، أحدهما أحمر والآخر أصفر ، وأنهما أخذا ذيول قططة أخرى وعلقاها بهما ، وأنهما أخذا يبتسمان لنا ، فلاطفناهما ورعيناهما وغذّيناهما أحسن تغذية ، واهتممنا بهما كل الاهتمام ، فاذا بهما ينقلبـان علينا خمشاً ونهشاً وعضاً .

الجنرال ستون ـ ها ها ها ، حلم عجيب ، حلم عجيب يا عثمان .

عثمان ـ لا تسخر منه يا سيدي ، فقد يكون له تفسير لا نعرفه الآن . . ولكني من ذلك الحين كرهت هـذا القط وما يخبئه لنا .

الجنرال ستون ـ ها ها ها ، « يخبئه لنا » يا عثمان ، هذا حيوان مسكين ليست له فضيلة نكران الجميل التي يباهي بها الآدميون ، وإذا لم يعجبك هذا اللون فسأحضر قطة من صنفه بلونه الآخر البديع وهو اللون السنجابي ، وبذلك قد نغنم نسلاً بلون يعجبك يا عثمان ها ها ها ، أنظر كيف أن كل شعرة تنتهي بنقطة سوداء تكسبه مظهراً جميلاً . . . . . حقيقة لا كرامة لنبي في وطنه .

عثمان ـ (دهشاً) أستخلق أنبياء من القططة يا سيدي .

عثمان (مخاطباً نفسه) ـ لا ريب أن الرجل أصيب بالهوس .

الجنرال ستون ـ اعلم يا عثمان أن أجدادك كانوا في تقديسهم هذا الهر .

عثمان — « مقاطعاً » ـ أستغفر الله العلي العظيم.

الجنرال ستون (متابعاً حديثه) ـ كانوا يطعمونه السمك الذهبي الأحمر الغالي .

عثمان ـ (مقاطعاً)رجعنا (للاحمر) ، اللهمّ احفظنا يا ربّ .

الجنرال ستون (متابعاً حديثه) ـ وأما الآن فطعامه الفئران مع أنه أنفس وأجمل وربما أذكى من القططة التي تنسب إلى سيام وأنقرة .

عثمان (مقاطعاً) ـ أقسم لك يا سيدي أن المرتب الذي خصصته « لعنترة » أنفقه جميعه على طعامه من لحم مشوي وسمك إلى لبن . . حتى بلغ به البطر أن اصطاد منذ يومين فأراً ، فأتى به والقاه عند قدمي ، واخذ يتكلم بأصوات لم افهم لهـا معنى .

الجنرال ستون ـ لا ريب ، لا ريب ، إنما كنت اتحدث عن قططة اخرى أقل حظاً لأن أصحابها لا يعرفون اية ثروة يمتلكون .

عثماد (مقاطعاً) ـ القطط ثروة يا سيدي .

ألجنرال ستون ـ لا شك لا شك ، كيف فاتك يا عثمان ان « عنترة » اراد ان يظهر امتنانه لك وان يرد الجميل ، فجاء إليك بآخر صيده طعاماً لك .

عثمان (دهشاً) الفأر طعام لي يا سيدي ، . ما شاء الله .

الجنرال ستون ـ هذه عقلية « عنترة » يا عثمان ، وإنما الأعمال بالنيات . . . أليس كذلك يا «عنترة» .

(يسمع مواء الهر)

عثمان (دهشاً) ـ إن هذا القط « يسكنه » عفريت يا سيدي فهو يفهم الكلام ويرد عليك يا سيدي ، وانا خائف منه ، والحق اقول لك يا سيدي إني .

الجنرال ستون ـ اسمع يا عثمان ، « تسمع حوافر الخيل وقدوم عربة » . هذه هي العربة التي تقل الجنرالين سبلي ولورنج . ادخلهما فوراً ثم اعدالقهوة.

عثمان ـ حالاً يا سيدي .

الجنرال ستون (مخاطباً قطه « عنترة ») ـ لا تتكدر يا « عنترة » من كلام عثمان . إنه سليم الطوية ، ولـكن ليس له ذكاؤك فاعذره وسامحه .

(يسمع مؤاء الهر)

حسناً ! هذا ما اعهده فيك دائماً ، ويا ليتني استطيع هذا القول عن غيرك .

(يدخل الجنرالان سبلي ولورنج)

الجنرال ستون ـ مرحباً ، مرحباً

الجنرال سبلي والجنرال لورنج ـ مرحباً بك ، اهلاً بك يا سيدي .

الجنرال ستون ـ تفضلا واجلسا ، ولكن واجها النيل وغروب الشمس . . . ليتني كنت شاعراً أو مصوراً أو موسيقاراً حتى أعبر عن المعاني الكامنة التي تجيش بنفسي ثم تعوزها الألفاظ لترى عالم النور ، فتبقى منطوية في فؤادي .

الجنرال سبلي — إنه لمشهد رائع حقاً .

الجنرال لورنج ـ لاغرابة لزعم الأقدمين أن النيل ينبع من جبال القمر .

الجنرال ستون ـ وهل رأيت غروباً أبدع من هـذا . إن للفن قواعد في كل قطر ، إلاّ في مصر ، فان الطبيعة فيها حرة سمحة لا تعرف إلاّ تجربتها وحدها في التكييف والنقش ، وتنفض ريشتها الأصباغ نفضاً دون حساب في أمزجة عجيبة .

الجنرال سبلي ـ إن كل ما في مصر بديع . لا أقول هـذا لان الخديو اسماعيل أحب الأمريكيين وأئتمننا على الدفاع عن مصر برئاستك يا سيدي ، ولا أقوله تأثيراً بوداعة أهلها ولطفهم ، وانما أقوله تقريراً للواقع في كل مجال ، فان حولنا بعثاً جديداً لهـذا الشعب الكريم ، وحولنا وطناً للجمال بكل معانيه .

الجنرال لورنج ـ لقد أصبحت يا سيدي معدوداً من المستشرقين ، أو على الأصح أصبح ثلاثتنا كذلك ، وكلما تبحرت في اطلاعي على تاريخ مصر وآدابها ازددت افتتاناً بها في جميع عصورها .

الجنرال ستون ـ هذا شعورنا جميعاً . وقد لاحظت أنه ما من أديب يؤبه له تحدّث عن مصر والمصريين إلاّ بالاعزاز ، وما هجا أحد مصر أو المصريين وإن هجوا حكامهم الثعالب على ما وصفهم المتنبي الذي أحب مصر والمصريين ولـكنه هجا أمة الثعالب بينهم ، وعلى رأسهم كافور الذي كان يتوهمه المتنبي عصامياً فريداً . أما الآن فقد جمعت مصر بين حاكم مصلح عظيم وشعب نابه متوثب ، وقد قضى الخديوي العظيم على جميع الثعالب فيها . . . إنه في رأيي جدير بأن يرأس أية دولة في العـالم . وكل خوفي أن يكيد له

الثعالب الأجانب .

(يدخل عثمان حاملا القهوة ويأخذ في صبها في الفناجين)

الجنرال سبلي ـ إذا ناموا عنه فسينجح حتماً في سياسته الاصلاحية البعيدة المدى ، ولو أنه الآن يسابق الزمن.

عثمان ـ معذرة لتأخري .

(مخاطباً الجنرال ستون) ـ اندلقت القهوة يا سيدي بينما كنت غارقاً في التفكير فيما كنت تقوله لي ، فأعددت غيرها (يأخذون في ارتشاف القهوة) .

الجنرال ستون ـ ها ها ها ، لم تتأخر عنـا يا عثمان ، فنحن أيضاً كنا نفكر كما كنا نحلم .

(مخاطباً الجنرالين سبلي ولورنج) ـ لقد دارت بيني وبين عثمان مناقشة هامة حول قطي « عنترة » ، ولـكنها انتهت على ما يرام وزال سوء التفاهم .

(يضحك الجنرال ستون وزميلاه)

عثمان ـ (مقاطعاً) لا يا سيدي ، قلنا .

الجنرال ستون « مقاطعاً » ـ والآن بعد احتساء القهوة يمكننا أن نبدأ مؤتمرنا السري ، فلا تدع أحداً يدخل علينـا يا عثمان . . ولـكن باذنكما سأسمح « لعنترة » بالبقاء معنـا فهو كاتم سري الأمين ، وعلى الأخص بعد أن صالحه عثمان « يضحك ثلاثتهم » .

عثمان (معترضاً) ـ لا يا سيدي ، ليس في إمكاني أن أبقى في خدمتك .

الجنرال ستون (دهشاً) ـ ماذا تقول يا عثمان .

عثمان ـ ليس في إمكاني أن أبقى « وعنترة » تحت سقف واحد .

المنظر الثاني

(يمثل المنظر الثاني مسكن عثمان وهو جالس يحادث زوجته أمينة في صباح الاول من نوفمبر (١٨٧٩)

أمينة ـ لا بدّ أنك قد فقدت عقلك يارجل ، أتضحي بعملك المربح — أتضحي بهذا المرتب الحسن من اجل هر ؟ اين يمكنك ان تجد معاملة افضل من هذه المعاملة

الكريمة ، وتريد أيضاً أن تمنعني من طبخ طعامه يا خائب الأمل .

عثمان — معاملة كريمة ، أتحسبينني عديم الكرامة يا حرمة وهو يفضل عليّ قطه ، هل حان قيام الساعة حتى تريدي أن تستقلي عني في تصرفاتك انت يا حرمة عثمان الميرغني .

امينة — لقد انعدمت فيك روح الفكاهة ، وإلا فانك ما كنت تتحدث هكذا عن ولي نعمتك يا رجل ، ومن يعدم روح الفكاهة فقد عدم ناظره الباطني الذي يرى به مسرات الحياة .

عثمان ما شاء الله ! ما شاء الله ! أتكلمينني أنت أيضاً بالألغاز كما يكلمني هو ؟ الحق عليّ لزواجي من « بنت بلد » فاصحة بدل نوبية مثلي !

أمينة — سبحان واهب العقول !

عثمان — ثم اعلمي يا حرمة أن هـذا الرجل أفسد عقلك عنده مشروع شيطاني ، وقد عقد مؤتمراً سريـاً ليلة أمس مع ضابطين أمريكيين ، وحسبني أبله لن أفهم ما يقولونه ، ولكني فهمت كل شيء ، وقد سمعت بأذني يقول لزميليه أنه سينزل إلى قاع البحر أحسن الضباط المصريين . . . . وسمعت أقوالاً أخرى كثيرة في أثنـاء خدمتهم بالقهوة والمرطبات لم تدع عندي ذرة من الشك في أن هؤلاء جماعة من المجرمين الخطرين .

أمينة — أنت مجنون يا عثمان ، وإلا ما كنت تتمادى في أوهامك إلى هـذا الحدّ ! حقـاً إن تشبث المجنون بأوهامه قد يفوق أحياناً تشبث العاقل بإيمانه !

عثمان ـ أنت أنت الواهمة يا حرمة ، وقد خدعت بشقشقة لسانه !

أمينة — هذا رجل صالح ، ولم أسمع منه مرة إلا الكلام الحكيم وكل ما يدل على محبته العميقة لمصر والمصرين وخدمتهم بأمانة .

عثمان — وماذا تفهمين أنت في المسائل الحربية حتى تحكمي هذا الحكم ؟ !

أمينة — ما شاء الله ! وهل أصبحت أنت جنرالاً ؟ !

عثمان — لقد حضرت اجتماعات عسكرية متعددة وسمعت الكثير وأصبحت أفهم حتى في المناورات العسكرية .

أمينة — (دهشة مقاطعة) المناورات العسكرية ؟ !

عثمان — نعم ، المناورات العسكرية ، ولذلك فلست من يفوته فهم أي كلام عسكري ، وهم في هذه المرة رتبوا مؤامرة خطيرة للقضاء على أحسن ضباطنا المصريين باغراقهم في البحر ، وذلك ليفسدوا الجيش المصري ويخرّبوه . . . أفهمت الآن ياحرمة ؟ !

أمينة — (دهشة) إغراقهم في البحر ؟! . . . أواثق أنت مما تقول يا رجل ؟ !

عثمان — أحلف بالطلاق يا إمرأة أنهم سهروا الليلة الماضية في رسم تخطيطات عجيبة وكتابة مذكرات طويلة عريضة تحوم كلها حول إنزال الضباط في مواعين إلى قاع البحر عند رشيد ودمياط . . . فهل تريدين مني تأكيداً أكثر من هذا ؟

أمينة — (دهشة) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !

المنظر الثالث

(يمثل المنظر الثالث قاعة الاستقبال الملكية الصغرى في قصر عابدين بالقاهرة صباح الثاني من نوفمبر سنة ١٨٧١ ، وقد حضر الجنرال ستون لمقابلة الجناب العالي الخديوي اسماعيل باشا بناء على موعد سابق ، ويستهل المنظر بحديث بينهما)

الخديو اسماعيل — لعلي لم أطل انتظارك يا جنرال ستون !

الجنرال ستون — لم تمض على حضوري غير لحظة يا مولاي ، وإني لمتهيب هذا اللقاء .

الخديو اسماعيل — ولماذا يا جناب الجنرال .

الجنرال ستون — لأن التقرير السري الذي أعددته مع زميليّ سبلي ولورنج استكمالاً للدفاع عن مصر ، وملحقاً بتقريري السابق الذي رفعته إلى مولاي في ٢٥ سبتمبر الماضي خاصاً بالانتفاع بترع الدلتا في الدفاع الداخلي — هذا التقرير السري الجديد الهام افتقدته عندما أردت إحضاره معي هذا الصباح ، وقد بحثت عنه في كل مكان بالمنزل دون جدوى ، فسامحني يا مولاي وتكرّم بامهالي يومين آخرين لأعد مع زميليّ تقريراً آخر .

الخديو اسماعيل — هذا حادث يؤسف له ! وعلى الأخص لأن الموضوع سري ويتعلق بالدفاع البحري بأسلوب جديد خطير . ألا توجد عندك صورة من التقرير .

الجنرال ستون — كلاً يا مولاي ! لقد حرصنا على أن لا نحتفظ إلا بنسخة واحدة منه لرفعها إلى مولاي اليوم ، كما حرصنا على إيداعها في مكان أمين بمنزلي لا يخطر على

بال أحد، فقد خبأته التقرير في صندوق بحظيرة الدجاج مطموراً في أرضها .

الخديو اسماعيل (مازحاً) - ها ها ها ! لعل الدجاج أصبح بين الجواسيس الدوليين .

الجنرال ستون — إنه دجاج مصري صميم يا مولاي، وعهدي بالمصريين الوفاء لوطنهم كيفما كانت منزلتهم .

الخديو اسماعيل — هذه شهادة طيبة يسرني سماعها منك !

ولكن قل لي يا جنرال ستون : ألاحظت أحداً يراقب منزلك، أتركته دون حراسة .

الجنرال ستون - لم الاحظ احداً يراقب منزلي يا مولاي، ولم اغادره الا نصف ساعة ليلة امس ربما ذهبت لاشترى بعض التبغ في غيبة خادمي، واني دائما جد حريص على ايصاد باب المنزل، والمدهش اني لم اجد صباح اليوم أي اثر في ارض الحظيرة ينم عن انتزاع الصندوق كأنما ابتلعته الأرض ابتلاعا .

الخديو اسماعيل - ها ها ها ! دعنا مؤقتاً من سيرة هذا الصندوق المسحور ياجنرال اوقل لي اجمالاً عن المشروعات التي تشغل بالك .

الجنرال ستون - ان مشروعي الجديد يا مولاي يرمي الى انشاء اسطول صغير من الغواصات المجهزة بالطوربيد لحماية منافذ فرعي النيل عند دمياط ورشيد وأما مشروعاتي الأخرى فقد بتّ مولاي في بعضها، والبعض الآخر لا يزال موضع درسه الدقيق ومن خير ما حققناه بفضل رعاية مولاي انشاء المدارس العسكرية في وحدات الجيش، الى جانب مدرسة تعليم ابناء الجنود، ثم مدرسة اركان الحرب وتنظيم هذه الهيئة، وانشاء مكتبة عسكرية وانشاء سلاح للخدمات الطبية، وانشاء شفرة عسكرية تحفظ الأسرار الحربية، وتأسيس متحف حربي . والآن يهمنا تدريب الضباط المصريين على مختلف الشؤون الفنية، وفي مقدمتها الاكتشافات الجغرافية ورسم الخرائط التفصيلية للصحارى المصرية وكردفان ودارفور واقليم خط الاستواء وشواطىء المحيط الهندي للقارة الافريقية، إذ ثمة مساحات شاسعة من هذه المناطق لا تزال مجهولة .

الخديو اسماعيل - هذا برنامج حصيف يا جنرال ستون وسينال تأييدي التام، بل ان ثقتي فيك ستجعلني القي على عاتقك اعباء اخرى من الخدمة العامة في الزراعة والتعليم والأشغال العامة وغيرها .

الجنرال ستون - اني رهن اشارة مولاي .

الخديوي اسماعيل - ان محبتك ومحبة الأمريكيين لمصر لا تعدلها الا محبتي لأمريكا اوثقتي بنزاهة رجالها وبروحهم التقدمية البديعة .

الجنرال ستون - هذا تلطف كريم من مولاي .

الخديو اسماعيل - ولكي لا تشعروا بأن جهدكم ضائع هنا اود ان الخص لك برنامجي أيضاً :--

فأولاً - اريد يا جنرال ستون تقوية الجيش والبحرية الى ابعد حد مستطاع وعلى احسن وجه ، ولي الثقة التامة بمؤازرتكم الموفقة لتحقيق ذلك

وثانياً - اريد ان تتجه جيوشنا الى الجنوب لتكون رسولة الحضارة المصرية الى الاقطار الافريقية الشقيقة التي يجمعها حوض النيل ، مصدر حياتنا جميعاً .

وثالثاً - اريد ان تسير بلادي في موكب الحضارة الحديثة علمياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً ، مع الأخذ بأسباب الصناعة والزراعة العلمية والتجارة الدولية والتشبه بأمريكا في نهضتها القومية .

ورابعاً - يهمني ايضاً لما تقدم رفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الاجتماعية بحسن توزيع الثروة وتحسين الأجور ، وبذلك يسود الاطمئنان ويرقى الانتاج ويشمل الأمن البلاد

وخامساً - تهمني زيادة الوحدة الوطنية تماسكاً بين جميع عناصر الأمة ، فما رأيك في هذا البرنامج يا جنرال ، فلا مستقبل يرجى لأي شعب مفكك

الجنرال ستون - هذا يا مولاي برنامج حكيم لا تطمع أية أمة متوثبة في أكثر منه .

الخديو اسماعيل - ولكن لمصر حساد مع الأسف يتربصون بها الدوائر ، ويعز عليهم قيام امبراطورية افريقية متمدنة . ولذلك لا مفر لي من مسابقة الزمن لتحقيق الاصلاح الذي اتوق إليه ، ولو اضطررت إلى الاستدانة على نطاق واسع ، لأني واثق كل الوثوق من امكانيات مصر الاقتصادية .

الجنرال ستون - حماك الله يا مولاي ، وحمى مصر العزيزة من كيد الحاسدين ، ووفقك الى كل ما تصبو اليه من سؤدد لبلادك !

الخديو اسماعيل - شكراً يا جنرال ستون والآن قل لي ألم تفقد شيئاً آخر من

منزلك الى جانب الصندوق ؟

الجنرال ستون (حائراً) — لا . . لا أظن يا مولاي !

الخديو اسماعيل — ألم تفقد خادمك ؟

الجنرال ستون (حائراً) — خادمي ؟ خادمي يا مولاي استقال حقاً لسبب تافه وهو غيرته من قطي !

الخديو اسماعيل — ها ها ها يظهر انه غير ذكي والا فانه ما كان يفعل ذلك ، وما كان يسيء الظن بنياتك نحونا !

الجنرال ستون (دهشاً) — يسيء الظن بي !

الخديوي اسماعيل (ملاطفاً) - لا تهتم بأمره يا جنرال ، فربّ مخطىء مصيب وربّ مصيب مخطىء ! كذلك لا تهتم باعادة كتابة التقرير فاني في غنى عنه !

الجنرال ستون (دهشاً) مولاي غير راض عن مشروعنا الدفاعي !

الخديو اسماعيل — بالعكس يا جنرال ستون ! اني راض عنه كل الرضى ، ومقدّر أهميته ، وشاكر لك ولزملائك جهدهم وحذقهم وبعد نظركم في وضعه ولكن ها هو الصندوق المفقود !

[النهاية]

تصويبات

الجزء الأول من كتاب (من نافذة التاريخ)

نظراً لعدم وقوف المؤلف بنفسه على التصحيح المطبعي وقعت أخطاء نتدارك أهمها بهذه التصويبات : --

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١٠	يجمعها	نجمعها
٥	٦	يهوي	يهوى
١١	٩	Pank hurst	Pankhurst
١١	١٧	ترأسه	ترؤسه
١٣	٦	والمساهمة	والاسهام
١٦	١١	لجاءني	جاءني
١٦	١٧	قصراً	قسراً
١٨	٢٥	وأصدقائك	وأصدقاءك
١٩	٢٢	لا يقتضي	لا يُقْتَضَى
٢٤	١٨	يعن أمة تضحية	يضن بأية تضحية
٢٤	٢٠	أظلّ	أطلّ
٢٥	١٠	أمت	أموت
٢٦	٦	شوقاً	خوفاً
٢٩	٥	وأبى ألاّ	وأبى إلاّ
٣٢	٢٥	الزمن	الرمض
٣٣	١٤	مني بمنزلة	هو مني بمنزلة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤	١١	غير	عير
٣٥	٢٨	لشخصيته	بشخصيته
٣٦	١٤	يطوف	بطرف
٣٧	٦	وكناية	وكفاية
٤٠	١٤	أسمع	أستمع
٤٥	٣	سبحان إذن	سبحان الله
٤٦	١٣	جبن	جنّ
٤٩	١٥	شاق	شاقاً
٥١	٥و٧	المراكب	المركب
٥٥	١١	أكل الأرز	في أكل الأرز
٥٥	٢٦	اسمت	أقسمت
٦١	١٧	صورة	صدقة
٦١	١٧	ياصمي	يا أصمى
٦٢	٢٥	انافي وعي	أأنا في وعي
٦٣	٨	حالماً يقظاً	حالماً أم يقظاً

الفهرست

للجزء الرابع من المجلد الحادي والعشرين بعد المئة